فراش ناعم

قصص قصيرة

خالد السيد وهدان

فراش ناعم: قصص قصيرة

خالد السيد وهدان

Khaled-write@hotmail.com

فيس بوك:خالد السيد وهدان-كاتب

سلسلة أدباء مسبيرو

اللوحة: كسل لذيذ، للفنان الاسترالى

روبـرت بنـى، ١٨٩٧م

الغلاف: شريف عبد التواب

رقم الإيداع: ٢٦٧٧/ ٢٠١٣

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ولا يجوز اقتباس أو اختزال أو نقل أى جزء من القصص المنشورة من دون الحصول على إذن.

تقديم

القصة القصيرة نهر من دروب الأدب والفنون التى سبحت فيها، بعد المسرح والدراسات النقدية والسياسية والسيناريو.

فراش ناعم، أول مجموعة قصصية أكتبها، وقد دفعت إليها دفعا، بسبب العالم الافتراضى "الإنترنت"، بعدما تعثرت فى التواصل عبر المواقع الاجتماعية بإنتاجى المسرحى الذى يتطلب الوقت والجهد، لطول النص وكثرة تفصيلاته، لإدراك أبعاده الدرامية. كانت وما زالت صدفة خلابة.

القصة القصيرة، وجدتها كاميرا لحظية أسجل بواسطتها لحظات مفصلية فى حياة الناس والشعوب ونفسى؛ ومن يقرأ المجموعة القصصية "فراش ناعم" من الخارج، يجدها كادرًا واحدًا مليئًا بالتفصيلات اللا نهائية، تفاصيل قد تتشابه وتكرر فى حياة الإنسان والإنسانية، لكن دراميتها تختلف حسب تجربة كل إنسان، ومدى فهمه للأمور، ونظرته للأشياء وما يدور من حوله.

لكن..من يقرأها من الداخل والخارج، بإحساس الإنسان الذى وعى تجارب الحياة التى مرت وتمر عليه، ويضع قصص المجموعة بجوار بعضها البعض، يجدها شريطا سينمائيا ممتدًا، كأنها رواية مجزأة أو حياة متقطعة، وأيضا موصولة بمدى اهتمام وحكمة المتلقى فى رصد الأشياء وفهم ما يطرح عليه من أفكار وفنون وآداب وتجارب حياتية، وكذلك وعيه بلعبة القص والحكى وتقلبات الإنسان داخل الدراما وفى الحياة.

تجربة "فراش ناعم"، لا أعرف إلى أين تأخذنى؟ لكن..لدى يقين أننى سأصل معها وبجوارها مسرحياتى التى نالت العديد من الجوائز، إلى مكانى فى عالم الإنسانية؛ أو يصل إلى ما أريد وأحتاج وأستحق.

"فراش ناعم"..يهمس لكل الناس أن تكون قلوبهم ناعمة ولينة وفرشهم حريرية وممتعة، وأرق مما هى عليه الآن من ألم وأرق.

"فراش ناعم"..تتجلى علاقته بالثورة المصرية فى اعادة بناء الناس لبيوتهم الخشنة، بقلوب عامرة بالحب، مثلما هدموا نظامهم الفاسد، بالشجاعة.

خالد السيد وهدان

٢٠١٣

افتراضى

تعشق روحه ورائحته وجواره، وكل ما يصدر عنه من لفتات وهمسات، وتصدق ما يقوله عن صولاته وجولاته وإن هوّل، ولا تسمح أن يُغتاب فى وجودها، ولا تهتم إلا لأمره فى وجوده، ولا يشغل بالها غيره فى غيابه.

هى باختصار تحبه وتعشقه وسلمت أمرها وكيانها له.

فطنت أن غالبية الرجال يُعبرون عن مشاعرهم وما يختلج فى صدورهم بأجسادهم وشهواتهم، فأرادت أن تتهيأ لأمره.

نشفت جسدها البض اللذيذ، وصففت شعرها، وارتدت ثوبا معطرا، وتزينت فى أبهى زينة، بعدما أزالت علامات الإرهاق والوهن والخطوط الزرقاء من جسدها بحمام ساخن ودلكته بكريمات طبيعية.

أرادت أن ترقص وتغنى فى قلبه ليحتضن جسدها فى هيام، لعله يشتهى أن يضطجع معها، وتمنحه الحب والشهوة اللذين يخضعان كافة البشر لأى أمر، فتسكب على جفنيها نوما دافئا رقيقا لذيذا.

لما رآها على هيئتها المثيرة، قال: ما تملكنى الحب يوما نحوك كما تملكنى الآن، وتجتاحنى الساعة رغبة عذبة.

أجابته بدلال ومكر: أنا لست مجرد امرأة، إننى العالم بأسره، فمتى سقط ثيابى عنى، تكشف لك أسرار غائبة، لن تعرفها إلا معى، وعندما أتركك تمتلك جسدى، فستغمرك دهشة لا تدانيها دهشة امتلاكك أكثر متع الحياة اثارة.

فعلق لاهثا وقد التصق بجسدها: الآن تحقق لى كل ما اشتهيته معك.

استيقظ الرجل فجأة من حلمه الافتراضى إلى واقعه المعاش، الذى أحب فيه حياته على هذا

النحو، بسبب لسعة برد وانحسار الغطاء من فوقه، وفزعه من صوت شخير زوجته التى تدثرت من البرد والمطر فى غطاء ثقيل وملابس خشنة، ألوانها غير مبهجة مثل حياتها.

رائحتها

تعجب الزوج وازدادت حيرته من حرص زوجته على التجمل والتأنق، وهى ذاهبة للعمل، وتفننها فى تنسيق ملابسها وشعرها واختيار عطورها، وشراء أحدث الموضات التى تظهرها فى أروع رسم وصورة، متذكرا صورتها الجميلة الفاتنة وقت تعارفهما وأيام الخطوبة والمرح وشهر العسل.

تعود من عملها متأخرة ومنهكة، فتلقى بملابسها غير عابئة بأطفالها وهم يرون ما كشف من حرمة جسدها، ويأتى زوجها ويأكلون وينامون، ثم يقطع الأب نومه ليوقظ أطفاله للمذاكرة التى يتولاها بمفرده.

تستيقظ لتهاتف أهلها ثم تشاهد المسلسل التركى، وتردد فى شجارهما الدائم حول التزاماتها كأم وزوجة: " لقد تزوجتنى وأنا أعمل"، "أنت تعلم صعوبة عملى"، " لا أستطيع متابعة دروس الأولاد"، "أنا أساهم فى مصروف البيت"، "الإسلام يجبرك على الإنفاق على بيتك"!.

يتشعب النقاش ويذكرها بأنه حثها ويحثها على أن تتجمل فى بيتها مثل عملها، ليتجدد ما بينهما من استلطاف، وخاصة قبل عناقهما، فتخبره أن نفسيتها متعبة، من دون أن تفصح عن طبيعته ومصدره، فيضطر إلى أخذ حقوقه فى أى وضع وبأى شكل، يكره وتكره، بعدما جرب هجرانها بلا تراجع من جانبها، والالتفات إلى نصحه بضرورة التزين لنفسها قبل أن تتجمل لسريرها وزوجها، وهى كذلك اعتادت الأمر وتنتظره.

بل تغضب لو اعتزلها أو انتقد مظهرها وأسلوبها ولسانها السليط ورائحتها.

تستمر الأيام بينهما على هذا الوضع الانسانى المتدهور، وهى لا تريد أن تستوعب مسئولياتها وتتعلم من تجارب من حولها من النساء الناجحات فى عملهن وبيوتهن، ولا من أيام الخصام الطوال مع زوجها وجلوسها فى بيت أهلها، ولا من وحدة وألم اعتزالها لبيتها فى حجرة أطفالها.

هو لا يريد أن يخاطر وينفصل عنها، فيحرم من أطفاله الذين تفرغ لهم، وترك من أجلهم فرصا رائعة، كانت كفيلة أن تغير من وضعه الاجتماعى تمامًا.

لكنه..لم يرد، على حد قوله، أن ييتمهم أما وأبا من أجل المال والمنصب، والانجراف وراء تداعيات قانون الأحوال الشخصية، ومتاهات القضاء، وألاعيب المحاماة.

مستباحة

قاوم حبها طويلا، ليقتل تلك العاطفة المستحيلة التى تسكنه، غير أن عقله لم يستطع أن يتغلب على جنونه بها، ولم يكن أمامه إلا هاتفها يتوسل حبها، فيجدها أبعدت عنه جبرا.

طورا يعترف بحبه الشقى لمن يجيبه من أهلها، الذين منعوها عن قلبه، فيتضرع إليهم، ولا يأبهون لتوسلاته، إذ يرونها صادرة من شخص بسيط يريد أن يتملق طبقتهم الراقية، تحت مسمى الحب، بينما يراهم من قساة القلوب، الذين يثمنون كل الأشياء بالمال فحسب.

وطورا يتقرب لصديقاتها طالبا إليهن عطفهن ومساندتهن وحمل رسائله الحارة إليها، وكان يأتمن "مديرة مدرستها" على إحدى رسائله العذبة، فيجد أهلها يتتبعون أثر زوار ابنتهم وصديقاتها، ويفتشون فى أغراضها عنوة وخلسة، ويقرأون ما تسطره هذه الرسائل من خلجات قلب صادق، تذيب الحجر شكواه، فيزدادون صلافة وجبروتا من البحر الهائج، وقسوة من الحديد الملتهب، ويعيدون عبرهن رسائله الشجية، برسائل شفوية غليظة، ليمعنوا فى ازدرائه، ليقتلوا الأمل فى قلبه تجاه كريمتهم.

إذا تجرأت إحداهن وأخبرتهم، بصدق مشاعره، وأنه ليس عاريا من المزايا، وأن المكانة والمال يمكن اكتسابهما عبر السعى والحراك الاجتماعى، وأنه عرف كيف يأسر قلبها؟ وأن علاجها سيكون صعبا مستقبلا، فإنها لا تجد أى صدى، بل تمنع من صداقة ابنتهم.

كانت آخر رسائله لفتاته، شفوية عبر مديرتها: تذكرى أن حبى لك لن ينتهى، إلا بنهاية حياتى. وامنحينى لذكراى الوقت الذى منحته لعشقك.

مضت الأيام، وكل ذهب لحاله، وإذا وضعتهما الصدفة فى طريق بعضهما البعض، فلم نجدهما على صورتهما الإنسانية الخلابة، بل كانا صورا آدمية باهتة، تعمل وتأكل وتعيش بلا قلب أو إحساس.

فراق

لديها ندم واحد فى الحياة، أن تركت نفسها لتتزوج من هذا الرجل، وكان يمكن أن تمنع هذه الجريمة فى نظرها، بأن تطيل صبرها وتتحمل الوحدة أكثر، وتتخير من يشاركها قلبها المرهف وفراشها الخلاب.

سمعت أن بعض الأشياء يكون مقدرًا أن تحدث، وتحدث أشياء سيئة لحدوث أشياء جيدة لاحقا. وفهمت أنه لا بد أن يعى الإنسان، ماذا تعرض عليه الحياة فى الوقت المناسب لاحتياجاته؟ وأن المرء ليس كما فرضت عليه التجربة والأقدار.

استبدت بها هذه الخواطر، وتذكرت محاولاتها المستمرة لإصلاح حياتها، وكيف كانت تخط له عشرات الخطابات، خشية أن يتحول حوارهما المباشر إلى مشاجرة أمام الأولاد كالعادة، والتى جاء فى إحداها: زوجى..أنا أنثى تسير فوق الشوك الآن، أعمل لخدمة بيتى وأطفالى من دون كلل أو ملل أو مقابل، وغذاء قلبى الدواء والثمن، امنحه لى، وما تطلبه أو تهمس به ستناله.

قالت فى ثانية: الحب لدىّ عين، تفرق بين النور والظلام، وتفرق بين السعيد والتعيس؛ الحب عندى كالنقش على الحجر لا يمحى أبدا، ألا تريد أن تنقش حبك على قلبى؟ الحب عندى كالماء يروى الكون، ألا تريد أن يروى حبك كونى؟

أخبرته فى ثالثة: زوجى..ما العمى الذى أصاب الناس، ليديروا ظهورهم لطوق النجاة، الممتد لهم ليواجهوا عناء الحياة، ألا وهو الحب.

عرضت عليه فى رابعة: كلما زاد الحرمان بداخلنا زاد إقبالنا على الحب. وكلما تألمنا نضجنا أكثر، لكننا فى أحيان كثيرة لا نواجه ألمنا بذكاء، فنجد أنفسنا لا نبرح من أمام المشكلة نفسها التى تتعسنا، ومن أصعب الأمور التى تمر على الإنسان، أن يبتلى بقدر يجبره على أن يظل عالقا بمكانه، لا يمكنه

التوقف، لا يمكنه السير، لا يمكنه الهروب، لا يمكنه أن يفعل أى شىء، ويمضى العمر كله، منتظرين حلم الفرصة الجديدة، كمحاولة لترميم حياتنا المضطربة.

كان خطابها الفاصل: زوجى..لا أريد أن أجبرك على الإحساس بى، ولا أتوسل منك الحب، لكن..إذا جاع قلبى بشدة، أخشى أن يأكل حبى ولهفتى للسعادة غيرك، فهل تتحرك قبل أن أجوع أكثر؟ أتريد أن أمنحك جسدى عنوة وقهرًا وألمًا ومقتًا، وأمنح غيرك قلبى رغبة وأمنية وأملاً وحبا؟

منام

جاءه أناس فى المنام يعرف بعضهم من عائلته، وبينهم فتاته التى هجرته، لعزوفه عن مغازلتها لخجله وقلة خبرته لتدينه، وقد علمته الأيام بفراقها: إذا وجد الرجل من الأنثى تجاوبا مع عواطفه، فيكون البادئ بالبوح والتصريح، ولو انتظرها لهربت منه، وإذا اعترفت له أولا بحبها، فلن تغفر له. فالأنثى متمردة بطبيعتها، وتغير رأيها كثيرا، لذلك تحتاج رجلاً قويًا يبصرها، لتتخذ قرارها.

ظلوا يتمتمون حوله بكلمات غير مفهومة، كأنهم يبحثون أمره، فتعجب وشعر برغبة ملحة فى اليقظة ليتأكد أنه ما زال حيًا، فوجد نفسه مثقلا بالنوم، فسألهم: كيف أستيقظ من نومى؟ فأجابوه: بأن يقتل ظنونه القديمة، ولا يبحث عن شماعة يعلق عليها فشله العاطفى، ولا يبحث عن شخص يلقى عليه وزره، وعليه أن يدفن قصصه الفاشلة، وأن الأفكار المدهشة ولدت من ظلام التجارب السلبية والباهتة.

أفاق واستبشر، ولم يجد حوله من رآهم فى منامه، وأصبحت نفسه لا تكاد تتسع لاحتواء الآمال التى تمر فى ذهنه وخياله، لكن الهواجس ما زالت تؤرقه. وظل يحدث نفسه: إن نبش القلوب، كنبش القبور، هنا قلب يرقد، وهنا جسد يرقد. وتخيل فتاته، واقترب منها، وهمس بأذنها: يا من كنت حبيبتى، هل يمكن استعادة ما فات؟

أجابته: انس هواجسك، فالحياة مثل شارع قصير نقضيه بأفكارنا وأبصارنا قبل أن نقضيه بأقدامنا وأجسادنا، وعليك أن تترأف بقلبى العاشق، الذى يضنيه حبك.

أردفت وهى تنظر فى عينيه: تصور أن السعادة التى أطمح إليها، ألتمسها بكلمة من لسانك

وموافقه من قلبك، واعلم أن عزوفك عنى ربما يبهج رجولتك التى تظن أنها أهينت برحيلى لغيرك، لكن.. الأمر هو شقائى بك لاحقا لتركك، وشقائى بك الآن لصعوبة استعادتك.

بالرغم من الهيام المضطرم، والمشتعل فى قلبه منذ سنوات لها وعليها، تنتابه مخاوف مجهولة وغريبة، لم يفكر يوما أن يستمتع معها بمعانقات شاب مكبوت محترم وعذراء فاتنة ملتزمة، يعيشان فى حجاب الأعراف.

هى لديه فكرة باهرة ونجمة ساطعة، ينظر إليها فحسب، ليبتهج.

جدتى

إن شئت أن تصغى إلى جدتك التى تحبك، ذلك أننى علمتنى الحياة الكثير، ووجب علىّ أن أنبهك أن تلطفى من صرامتك وحدتك، لترى الخير وتستمتعى بحياتك.

إلامَ تهربين من خُطابك، ولم تزدرينهم! بينما يشتهيك ألف رجل، ألا تريدين زوجا؟ آه..لو كنت تريدين، لرأيت نفسك مطلوبة بإلحاح. إن كنت حكيمة، إن أردت أن تسعدى، ارفضى زواجا عاديا، واختارى من تحبين رفيقا لك فى حياتك وسريرك، وأن تكونى حبه الأول والأخير، ولا يريد منك شيئا إلا أنت نفسك، وأنفاسك الحارة المحبة له وللحياة.

شعرت العجوز، فيما تتذكر زوجها الراحل، بالألم يستيقظ فى نفسها، وتستطرد: قيل إننى كنت سعيدة، وقد كنت سعيدة حقا، فالمشاعر النبيلة وحدت بيننا، ولم يكن فى قلبى غير حبه، ولم يكن فى فمى غير مآثره، ولم يكن فى عقلى غير طيفه، كانت رجولته وروحه الحلوة وجديته الممزوجة بظرف حديثه تغرينى به، كان كل شىء فيه أراه كاملا وبريئا، فصنت نفسى من أجله، فله أينما كان، احتفظت بالمتع التى يمكن أن أقدمها له وحده، عن طيب خاطر، وأنا مستمتعة ومستسلمة.

وعيت يا جدتى، بالحب يكون الإنسان، والعشق تكون المرأة، لكن..أخبرينى، ماذا فعل من أجلك؟ لتظلى تتحسرين عليه وأنت تشعرين أن الموت خطفه منك عنوة وبلا جريرة منك.

تبسمت، كأنها تتبسم للغائب: أما من عشقنى، فبلغه أن الناس تهمس فيما بينهم بأنه ترك كل

شيء وأخذني وهرب إلى كوخ، وأنفق وقته وعمره لي.

فيما كان يخجل ويمتنع عن تقبيلي قبل زواجنا، احترما لعذريتي وخوفا من الله، أقبل بشدة ومنحني بزواجنا قُبُلات، لا حصر لها، وصارت على جسدي وشما وأختاما وآثارا للعشاق.

واى نُت

يعيش حالة سلام مع العالم ونفسه، لعلمه مدى عجزه عن تغيير مجتمعه أو علمه أنه سيتطور قريبا، فأقام "مجتمعًا يناسبه" فى ذهنه، ليتأقلم بلا تناقضات. ووجد فى العمل بالسياحة ضالته لعشقه للسفر، إذ خالط جنسيات وثقافات متنوعة، ووعى سهولة الحياة لدى الغرب مقارنة بتعقيدات مجتمعه.

اقتربت منه فتاة غربية، وتقاسما مفردات الحياة بسهولة وسرعة خلال إحدى الرحلات، دون إتقان أى منهما لغة وثقافة الآخر! اعتاد ألا يخلط ما بين عمله ومشاعره، لكن وجد نفسه يخبرها بأنها تروق له، فأبدت اهتماما بمشاعره، وتجاوبت معه بكل ثقة ولطف وبلا تعقيدات، وعندما أخبرها برغبته الملحة لاستنشاق جسدها، وافقت ببساطة، وقالت وهى تضحك: "واى نُت".

ضحك بدوره، لكن..وهو يردد بهستيريا كأنه لا يصدق: "واى نُت"، ورحل من دون أن يلمسها، وبمخيلته يتتابع شريط تعارفه على زوجته. فحينما أعجبته لمح لها فغضبت وانصرفت من دون أن تترك أى رد فعل حول مشاعرها تجاهه، فكرر وصله فغضبت من دون أن تنصرف، فكرر محاولاته فلانت قليلا من دون أن يدرى مدخلها، وبدأت الحياة بينهما ضبابية بلا مدخل، حتى بعد زواجهما والانجاب.

اشترط ألا تعمل زوجته سلفا، فيتكرر معه إهمال الزوجات لبيوتهن وفرشهن، وكان يتخيل أنه يعود لبيته متعبا مكدودا، فيجد زوجته فى أبهى حلة وعلى شفتيها أعذب ابتسامة، فتمنحه أرق قبلة ويستقر بحضنها حتى يهدأ من ويلات يومه، وهو يفعل معها كذلك وقت شدتها، لكن..خياله لم يتحقق يوما، وهى كذلك.

اعتكف فى حجرة نومه، وتوقف واقعه عند معاشرته الزوجية، واضطراره أن يباشرها، من

دون أن تجيب تلميحاته وتصريحاته بـ "واى نت" مثلا، فيتم الأمر ويتكرر بالسيناريو نفسه وبصعوبة شديدة وفى أوقات سيئة، وبلا أى مزاج أو متعة، وإنما لتفريغ الطاقات والأحلام المكبوتة، وبدلا من أن تكون علاقتهما للتقارب، سارت بهما نحو التباعد والتشاحن.

مضى خياله يزيد من عزلته مع مجتمعه، وظل يردد: لدينا الرجل يقترب من زوجته ونفسيته مؤرقة وينتهى معها ومنها ولديه اكتئاب حاد..وهى كذلك.

لدى الغرب يقترب الرجل من فتاته من دون تعقيدات النسق والموروث، يأكلها وتأكله فيخرج منها مستريحا جدا..وهى كذلك.

عروس

تختفى وراء وضعها الاجتماعى الراقى، وملابسها الباهرة وسيارتها الفارهة ونظارتها الشمسية، لتجمل حقيقة جمود حياتها، التى تشبهها بـ "الطعام المجمد المحدد الصلاحية"، إذ تحسب مع زوجها كل صغيرة وكبيرة، وفقا لتوقيتات محددة، حسب ظروف عملهما والتزاماتهما.

كررت هذا الاختفاء عبر شرفتها، حينما اقتحمت عليها أصوات عرس شعبى، ينبعث من بيت متواضع على مشارف منطقتها الراقية.

عادت لبيتها مبكرا على غير عاداتها، تناولت غداءها ونامت على عجل، لتبقى يقظة بالشرفة لوقت متأخر بمفردها، مثلما يعيش كل فرد فى البيت بمفرده، وظلت ثلاث ليالٍ مندمجة تماما مع يوميات العروس.

شاهدت الليلة الأولى"ليلة التنجيد"، حيث يجتمع أهل العروسين أمام منزل العروس، للإعلان عن اقتراب موعد الزفاف، وتظل الفتيات يغنين" افرحى يادى الأوضة..جياكى عروسة موضة" و "رشوا الشارع ميه..عروسة الغالى جاية".

تنسى حياتها وجوارها الراقى، وتظل تغنى معهن، كأنها واحده منهن، أو كأنها العروس فى الليلة الثانية"ليلة الحنة"، وقد جلست فى بيتها وسط صديقاتها، وتتولى إحدى السيدات رسم الحناء

على يديها، ويبدأ أهلها وأقاربها فى الغناء على دق الطبلة فنسمع أغانيهن المميزة " مدى إيدك يا عروسة.. مدى إيدك واتحنّى" و "بس الولا يجى..يجى ع التسريحة..واحط له ريحة".

تجسدت انفعالات متناقضة بداخلها، حينما ارتدّت خلف شرفتها لتراقب بحذر وخوف شديدين، الليلة الثالثة "ليلة الدخلة" كأنها تهرب من ذكرياتها مع هذه الليلة، التى مرت على غير هواها وخيالها مع زوجها.

لكن..أصوات الفتيات خففن من ألم ذكرياتها، وهن يغنين "ما تزوقينى يا ماما..قوام يا ماما..دا عريسى هياخدنى..بالسلامة يا ماما".

اكتشفت الحياة الحقيقية على وجوه بسطاء، لا يملكون من حطام الحياة لابنتهم الكبرى، إلا حجرة بحمام بالإيجار، يزينها أثاث وضروريات الحياة الملحة جدا، ولا يحسبون لشىء ويعيشون فى راحة بال وسكينة، مع تفاصيل الحياة الصعبة.

انسجام

لديها كل مقومات الأنوثة الناضجة والتعليم المتميز والعائلة المرموقة، ولم تجد رجلا يقترب من خيالها، والحياة التى رسمتها لنفسها فى ظل الحب والتقدير لدور الآخر، بالرغم من كثرة خُطابها من المرموقين فى بلادها، لكنها..عرفته صدفة وشعرت بلطفه وطيبته، فخاطب خيالها ووده، وفطنت لانسجامها السريع، وتعجبت لتلاقى الأرواح رغم كل المسافات والحواجز عبر العالم الافتراضى.

ظل يقلب فى صورها عبر صفحتها الشخصية، بالموقع التواصل الاجتماعى الشهير، ويمنى نفسه بوصلها، منشرحا لبراءتها وسمات جمالها النادرة، إلى أن فوجئ بعذريتها المصانة وفارق العمر بينهما، فهو يكبرها بـ ١٣ عاما، وهو مؤمن بضرورة ارتباط الفتاة برجل يكبرها بسنوات قليلة، ليستقر الانسجام وحب ممارسة مفردات الحياة بينهما، من دون أن يعتريه منغصات فارق العمر والخبرة، والخلاف المزمن حول نظرتهما لتصريف أمور بيتهما.

تخلص من أنانية الإنسان باستحواذه على كافة الأشياء الجميلة والنادرة لنفسه، رغم ميله للفتاة تماما، لم يُرد تصدير مشاكله لهذه الوردة، بكونه "متزوجا تعيسا"، ورفض أن يكون طموحا فى أمور

القلوب وبناء البيوت بلا تكافؤ.

سعى بتجاهله وجرحه لها من دون سوء أدب، أن تشق طريق الحياة دونه، وهو يرقبها بكل إخلاص ودعاء صادق بالنجاح، منفذا حكمة أن المحب يختار لوليفه الأفضل، حتى وإن لم يشاركه عشه الأثير.

شعرت الفتاة بتراجعه عن وصلها، فأصابها سكون وحزن وشرود، من دون أن تعى صورة الأمور فى ذهنه، فتجربتها توقفت عند انسجامها النادر معه، وتجربته توقفت عند السعى لحياة جديدة، يشترط فيها الانسجام العمرى واستيعاب الآهات الإنسانية لكليهما.

لعله يستنشق رائحة الأنثى التى تتفهم حتمية التجربة المؤلمة، لرجال مثله يسيرون فى الحياة بطيبة مفرطة، فبدلا من أن يُعبد لهم الطريق بالسعادة، تعثروا من أول خطوة وبلا مقدمات، وبثمن فادح لحياتهم.

سحر

يتخذ الأسباب والذرائع ليتقرب منها، ويتعمد الجلوس بقربها، وينصت لحديثها بلهفة، ويصدقها وإن هولت وشطحت وصالت وجالت فى الحكى والوصف والخيال، ويستغرب كل تصرفاتها وحركاتها كأنها تخرق وتجدد العادات الإنسانية النسائية التى تبهر الرجال.

يوافقها الرأى فى كل شاردة وواردة وكل صغيرة وكبيرة، يستهين بكل أمر جليل داع إلى هجران متعة رؤيتها لحظات، يتباطأ فى مشيته ليرافقها فى طريق عودتها من عملهما إلى بيتها، يتلكأ بنظرات وهمسات وضحكات ونكات لو دنت لحظة فراقها، ليمد وقت انسجامهما دقائق.

يضطرب لو فارقها ويهدأ لرؤيتها وسماع صوتها أو أى لمحة تشعره بأن أنفاسها لم تنقطع عن روحه، صارت كل الأسماء لديه اسما واحدا هو اسمها.

تتراءى له كل النساء فى شخصها وطلتها وملامح وجهها الملائكى، كأنها فى الأرض كل النساء، وله وحده خلقت، يستغرب كل ذوق وكل ملبس لا يتماشى مع قوامها، يتعجب من ضرورة

وجود أشياء فى الكون لا تهتم بها الآن، ويضاعف إعجابه لـو أبـدت اهتمامـا بوجـود هـذه الأشـياء لاحقا.

فى وجودها يتركها تتحدث، ويثبت نظره عليها مفتونا متمنيـا لحظـة وصـل، وفى غيابهـا ينظـر لصورتها ويكتب لعيونها ووجهها اللطيف الفيروزى خطابات الحب والهيام.

إنه سحر الحب، الذى يدفعه بشدة إلى أن يرتبط بها.

وما يؤرقه أن تتحول معشوقته لزوجه عادية وكلاسـيكية ورتيبـة، تسـتجوبه عـن كـل شـاردة وواردة، وتقف له بالمرصاد على كل هفواته، فتهتز صورتها فى مخيلته، ويزهد أن ينفـرد بهـا، ويعـزف عن لمسها وعناقها، فتتوقف دوران أيام الحياة بينهما عند الأقدار المرة أكثر من الحلوة، فيهـرب وتـراه على غير حقيقته.

هفوات

لم يترك لها شاردة ولا واردة فى تصرفاتها إلا انتقدها، فتكتئب وتشعر بـالبرودة تنفـذ لعظامهـا، وتغتسل بالدموع خداها، ويغلق فمها سيل تنهدات، يختلج صدرها.

وتحدثه: أى خطأ أرتكبه -مهما كان جسيما- يا زوجى فى حقك وحق بيتـى، لا ينبغـى أن يغـير قلبك نحوى إلى هذا الحد! ماذا حدث للحب الذى كنـت تحـدثنى بـه؟ وتزيـد مـن جرعاتـه وقـت لقاءاتنا الخاصة فقط ! أردت خـداعى أم مسـايرة الحيـاة الصـعبة أم أردت أن تلـين جسـدى لتنـال رغبتك على أشدها!

تعى مدى خوفه عليها، لكنها..سئمت نقـده، فصـارت لا تـترك لـه أى هفـوة إلا وبالغـت فى انتقاده وانتقاصه، وآثرت السلامة فعزمت أن تعتزل فى حجرتها مهملة، خشية أن تتحطم حياتها على حافة لسانها الحاد. وهى تردد: أستطيع هجرك، من دون أن أقلق على مصيرى، لعلك تقدرنى وتعيد النظر فى أسلوبك معى، وليأتى اهتمامك بى خاليا من الغضب والتعنيف.

تركها تعتزل لتتعلم الحياة، وتركـت نفسـها للعزلـة فشـردت أكثـر؛ عشـقت الليـل، إذ تنفـرد

بسريرها، تقرأ، تضحك، تسمع الراديو، تحدث نفسها، تنام، تحلم؛ وكثيرا ما حلمت وتردد: آه..لو كان مسموحا لى أن أغير اسمى وشكلى ووضعى الاجتماعى لأتحد به، أنت تعجبنى وأنسب الرجال لى، لكن..مشاعرك نحوى مترددة، تنظر كونى متزوجة، وأنا فعلا متزوجة وغير متزوجة أو متزوجة وتعيسة، فلا يهم حالتى الاجتماعية، المهم احساسى بحقيقة حالتى الإنسانية.

تستيقظ وتعى حلمها، فتسوء نفسها: ما أتعسنى! ماذا تعنى هذه الرؤى التى تتدلى أمام عينى؟ وهى كالمصابيح المبهجة فى منامى؛ تنقضى لياليها وأنوارها وأحلامها سريعا، كأنه عقاب.

تظل تهذى: وما ذنب الحلم! ليس على الحلم رقيب أو إثم، ولو لم يكن بريئا من شهوات تختلج داخل نفوسنا وأجسادنا، وتتعذر فى واقع الحياة.

يئس زوجها المضطرب القلب، والملىء بالكآبة من تصرفاتها الفظة ومن إصلاحها المستحيل، فأراد استشارة أحد ممن يواسون البشر فى ويلاتهم بالنصح، من دون أن يعى أن الهفوات والزلات البشرية لا بد أن تحدث، لاننا بشر، ولا بد أن نلقيها خلف ظهورنا، لتستمر حياتنا بلا ألم متزايد.

نـاران

أنضجت الأعوام والتجربة قسمات ملامحها، فوجهها يتمتع بقسط وافر من الجمال والفتنة، وهى تساوم وتناضل وتلاطف وتخاصم، كامرأة لا يمكن أن يستهان بها.

لكن عندما تلمحه، تعود كمراهقة ساذجة، وتذهل بفطرته وطيبته التى تكسو وجهه، كأنها لم تجرب الرجال بعد، وهى الخبيرة بطباعهم لزواجها وطلاقها مرتين.

تدارى جنونها به بادعاء الانشغال بالأوراق التى أمامها على مكتبها، بينما يدها تبعثرها وهى التى أرهقت فى تصنيفها، وخيّل لها أنه لهب يسرى فى أعصابها، وعنف هيامها به يؤرق فكرها، ويوتر شهوتها الملتاعة لرجل مثله تلقائى وبسيط.

تحب دوما الاقتراب منه، وتتخيل أن تطعمه من طعامها وجسدها، وترويه من مائها ورغباتها، وتحاول جاهدة أن تلامس شعر صدره، وتسكن فى حضنه فلا يصدها، لتنتهى ليلتها بأن تستقبله فى

فراشها الدافئ، لتهدأ وترتاح.

تفيق لوعيها، وتدبر الحيل، وتنتهز الفرصة لقيامهما بعمل مشترك، وتبوح له بما يجيش بقلبها: لا تكن قاسيا، وبحق عفويتك التى أسرت قلبى، فكر فى هذه النار التى تلتهمنى كلما رأيتك أو مررت بخيالى.

يجيبها: قلت لك مرارا، لا أقدر أن أكون لك، فهناك أخرى تأسر قلبى، وهذا الأسر يروق لى، وأستسلم له تماما، وأدعو الله أن أنعم به أبدا، ولن أدنس أبدا زواجى بحب عابر وغير مشروع أو شهوة مؤثمة.

تهدده قائلة: أتعلم جيدا، ما تستطيع أن تفعله امرأة عاشقة أهينت؟ ودوما يهدئها بابتسامته المشرقة ويرحل، من دون أن تأخذ منه شيئا أو وعدًا بالوصل القريب أو البعيد فضلا عن الحب.

أما من عشقها، منذ أن بلغت السن التى أصبحت فيها ناضجة للزواج، فضلته على جميع الذين طلبوها لفرشهم، فجمال روحها لا يضاهى جمال جسدها، وأكثر ما يثيره فيها، أنها لا تستطيع أن تفصح عما تريده منه إلا بخجل البنت العذراء المرتبكة، التى أوصد أمامها كل نوافذ الحياة، فكان زوجها وعشيقها كل نوافذ وتفاصيل حياتها الخلابة.

باردة

تجمدت فى مكانها، وهى تشاهد بطلة الفلم الأجنبى، تخبر صديقتها فى ليلة زفافها، عن تركها لشاب، وحدّ النسيج العائلى والاجتماعى بينهما، وعن زواجها بشاب يفتقر للتكافؤ معها فى كافة مظاهر الحياة.

قالت بجرأة: لقد انسجمت فى سريره بسرعة مذهلة، وبشكل خطف لبى وكسر عظامى، فمال قلبى له بشدة، واستكان جسدى واطمئن لمستقبل رغباته. بينما وجدت نفسى من أول وهلة، متعبة ومشمئزة فى سرير من يضاهينى مكانة.

هبط الحوار عليها كالصاعقة، وتلبسها شيطانها، فلم تتمالك نفسها، إلى أن وضعت جسدها

تحت الماء البارد، تطفئ نارها وتغسل وهما ما علق بها من ماء زوجها بأثر رجعى، وهى تتمتم بعبارات تلعن مناخها العربى، الذى أهمل العلم وبرامجه وجعل الزواج فقط، معملا لكافة تجارب البيوت الخاصة والإنسانية، والمرء وحظه، فلو وفق فهو خير، ولو تعس فليصبر، احتراما لقدسية الدين والتقاليد وحياء النساء.

عادت بها الذاكرة، وكيف تحطم خيالها وهيامها المشتعل نارا فى جسدها، وقت معانقة رجل لعذراء فاتنة مثلها، خلال ليلتها الأولى، واكتشافها خلال شهورها التالية أن جسدها لم ينسجم مع زوجها، ووجدته متصلبا فاقدا لعزيمة الرغبة الجامحة، الكامنة داخل كل امرأة طبيعية، وأن أنوثتها الواضحة، تجمدت لا تلين لأى مداعبات، وأن شفتيها لا تستجيب لأى قبلات، كأن حواسها ترفض الأمر برمته.

هدأ الماء البارد جسدها الملتاع وأفكارها المضطربة، وبدلا من أن تستمر فى لعن زوجها، رأت أن العلة ربما تكون لديها، بفعل تعدد تجاربها العاطفية الفاشلة، أو لسرعة زواجها من دون أن تكتشف بخبرتها الفطرية الأنثوية ضرورة الانسجام العميق مع خطيبها، أو كثرة شجار أبويها حول خشونة حياتهما وفراشهما، أو تدمير الختان لمراكز متعتها.

فكرت فى خوض تجربة جديدة، إلا أن هاجس لقب مطلقة يؤرقها، وتخشى أن تغرس قدميها فى طين الانفصال، أمام زوج صالح، يفتقر لخبرة تجميع تفاصيل امرأة فى عقد فل فواح لطيف.

البدايات

حرمت من الإنجاب، ووهبت فتنة، لا يصمد أمامها أعتى الرجال خبرة بالنساء وكيدهن. وبالرغم من عدم تجاوزها الثلاثين، فقد تزوجت بثلاثة رجال، يشار لهم بالقوة والتميز فى حياتهم العملية.

كانت تتزوج عن حب، وحينما تفطن أن الأمور فى بيتها، تتحول إلى ملل ومشاكل، تنهى العلاقة بكل جسارة، قبل أن تتعقد الأمور ويستحيل ترميمها أو إصلاحها، ولو اضطرت إلى التنازل عن كافة حقوقها، وتتفهم طلبات الطرف الاخر لتعظيم مكاسبه.

تبرر موقفها وتنقلها أسفل الرجال، بأن تصف فلسفة تعدد زواجها، كمن تقطع تذكره لمشاهدة مسرحية، وتشاهد الفصل الأول وتستمتع بالفكرة والموضوع وبريق لذة البدايات وتنصرف.

وتقول: إن الفصلين الثانى والثالث كتبهما نفس الشخص، وقام بأدوارهما نفس الممثلين، ويخرجهما نفس الشخص، فلا داعى لاستكمالها.

أريد أن أشبع قلبى المتوحش للحياة اللذيذة بالتجديد. كمن يأكل طعامه من أول قطفة، من دون أن أنتظر تقلبات الحياة، وأضطر إلى المضغ على مضض، طعام نهاية الموسم العديم المذاق، فيرتسم القلق والغيظ على قسماتى وحياتى، ويتسلل الشعر الأبيض إلى رأسى، وأشيخ قبل الأوان.

تفند بكل ثقة منطقها: أنا مثل الكثيرات، يعزفن بكل حماس فى أعوامهن الأولى، لكن لا يعرفن، ماذا يفعلن بعد انتهاء تلك الألحان مع صعوبات الحياة؟ وقليلات من يستطعن أن يجددن ألحانهن.

البيوت مثل الفرق الموسيقية تعزف الألحان، من دون أن تعى أن الأهم، ماذا بعد انتهاء تلك الألحان؟ ماذا بعد انقضاء شغف البدايات؟

الطاووس

يراها فيبادلها التحية بوجه مشرق، ويخاطبها بكلمات بسيطة معبرة تخرج من قلبه، لتضخ فى عروقها دماء حنية تبهج نفسها، وينعشها أكثر بأن يمنحها زجاجة مياهه.

وقد وجدها مضطربة لتأخرها وتعجلها للحاق بمصعد العمل، فتشرب، ولا تعرف أنها تروى فمها الناشف من عطش الماء، أو قلبها المتيبس من عطش الحب!

منذ أن بلغت السن التى أصبحت فيها ناضجة للزواج، وتأسيس بيت، واستقبال زوج فى فراشها وامتاعه وتلبية رغباتها، لم تشعر بهذا الإحساس الممتع أن تجد شخصا، تحب الحديث إليه والوقوف معه ويلاطفها بالحوار والنكتة، وأن يطل عليها ويسامرها صباح مساء.

عندما يمر بخيالها ويشاغب روحها الجميلة التى تضاهى جمال جسدها، الذى يتدرج كمثل

ألوان الطيف، كما تصفه لصديقاتها وتحرص على العناية به بكل الطرق التى تسمع بها، فيلفت انتباه الناظرين، تضبط نفسها وهى تأتى بتصرفات عفوية، مثل أن تضحك بصوت عال لاقل طرفة، وتلاقى صديقاتها بالأحضان على غير عاداتها، وتتنفس الحياة بسهولة وأمان وشغف بلا سبب.

تشعر أن قلبها الطاووس الجميل، الباهر الريش والألوان، الذى يحمل صفاته بألا يطير من على الأرض أبدا، قد تغير وخُلقت له أجنحة بلا حصر، وريشًا أجمل، ومناخًا يجذبه للفضفضة والطيران.

فهمت أن الحب يخلى قلوبنا من الحزن والضعف، ويمنحنا طاووسا يتمرد على طبيعته، ويأبى مكوثه على الأرض. ولا يهدأ إلا بطيران لسماوات ممتدة. ليخلق من نفسه كائنا جديدا.

تشعر أنها سوف تسلم نفسها وجسدها البتولى لرجل، ليس بالمال والذهب، وإنما بالحب والعشق.

التنازلات

سعيدة بزوجها، وزوجها سعيد بها، فوحدت بينهما حماسة مشتركة للحياة، وحنان متبادل للآمال، وسرير ساخن جدا للمتعة، سرير حب وحلال يستقبلهما بكل ترحاب، لكثرة إقبال كل منهما على تلبية احتياجات الآخر الإنسانية الفطرية بعفوية شديدة.

كأنهما جسدان يشتعلان بنار واحد.

لو تفحصت عجوز خبيرة بأمور الزواج السعيد والتعيس، فسوف تجد سريرهما يعكس مدى الانسجام بينهما، فنجد وسطه يهبط مستواه عن أطرافه، لإدمانهما العناق واللهو اللذيذ عليه، كأنهما أسطورة لإنسان، شطر نصفين ذكرًا وأنثى بأعضائهما.

بعدما كان جسدًا واحدًا، وهما فهم واحد وجسد واحد وقلب واحد.

بينما نجد سرير الزوجية العادى الفاتر، وسطه أعلى من أطرافه، لعزلة كل طرف على طرف من السرير، من دون لهو فى منتصفه، وكذلك ندرته على أطرافه، وإن حدث يكون تأدية واجب، وتفريغا للمشاكل المتكررة والإحباطات اليومية.

كانت تردد للناس: لن يتمكن أى رجل أن ينال إعجابى ويثيرنى إلا زوجى وحبيبى. وتتخيل زوجها يردد: لن تتمكن أى امرأة أن تغرينى إلا زوجتى وحبيبتى.

هكذا تصورت الفتاة البكر الحياة الزوجية، وهى تنصت بشدة مفرطة إلى حديث زميلاتها المتزوجات حديثا، وما يحكى أمامها من نميمة للنساء حول حياتهن الخاصة، وكيف صارت برودًا وملالًا، بعدما كانت أيام الزواج الأولى ساخنة وممتعة.

لصق بذهنها ذلك التصور الخيالى، وتريد أن تتوقف عند هذه اللقطة، أيام شهر العسل، وشهور زواجها الأولى فحسب، من دون أن تعى أن الحياة، يوم مر ويوم حلو.

ليظل صراع الإنسان مع الحياة ومع نفسه أن يكثر من الأيام الحلوة، بالتنازلات والعفو والحب.

أبى

يا أمى، لا يدهشنى أن تكون مآثر أبى قد غابت عنك؛ أنسيت؟! كان يقص علينا، فى حضورك، ما قدمه لهذا البيت كأب محب، وكنت فخوره جدا به، وأنه فاز بجمالك، وما كان أكثر اللائى كن يتلهفن للزواج برجل فى مكانته، وما أكثر اللائى كن حزينات لأنه صدهن واختارك أنت.

لقد كنتما قلبين اتحدا بالحب أمس، ولم يعودا إلا صخرا اليوم.

كفى..لماذا تفتحين جرحا لأمته الأيام بعد عذاب وتجبرينى على تذكر شقائى معه؟ أتريدين أن أعترف بكراهيتى لأبيك أمامك؟

تأخذ نفسها وتفكر وتستطرد: أجل مآثره تتخطى كل كرم لكل رجل شهم وطيب، لكنه..غير ملم بطبيعة النساء واحتياجاتهم، وخاصة الرقيقة منهن.

لقد هدم أبوك كل ما حلمت به من خيال وطموحات، ولم يؤازرنى فيما أحب لحياتى. وهذا بالنسبة لى لغز غريب، كيف يكون على هذه المكانة، وغير موفق فى احتواء مشاعر امرأة، بدأت حياتها

معه بمشاعر رقيقة وردية؟

كنت..أتخيل نفسى مثل طائر ملون مبهج يحوم فى الفضاء يغنى ويرقص ويرتفع ويلامس السحاب والسماء، وقام هو بقنصه، وبدلا من أن يمنحى الطيران مجددا فى صور جديدة للحياة والحب، عجزنى بضربات موجعة، لكونه رجلاً وزوجًا وكونى امرأة وزوجة وأمًا؛ ضربات أوقفت أجنحتى عن الطيران، فسقطت على الأرض لضعف ريشى الذى لم يعد قادرا أن يسيطر على الهواء ليطير بحياته للأجمل.

شعرت أن أمرًا ما -يعجز خيالى ولسانى عن وصفه- غطى جسدى الأبيض البتولى، وعقلى البكر، بالثقل والصدأ. فترقبت الوقت الذى يكون فيها فكرى متحررا من الهموم، وأطفالى كبروا على التزامات الأم، وأقدمت على الانفصال، بعدما لممت نفسى بصعوبة جدا، وقلما أفعل ذلك، وقلما تستطيع أى سيدة غير سعيدة أو مجروحة أو تائهة أن تفعل ذلك.

لقد نجح أن يطفئ اللهب الذى تشعله الحياة فى قلوب البنات الرقيقات مثلى. وعشت من دون أن أكون أنا نفسى، وما زلت أعيش فريسة لعذاب لم يعرفه أحد غيرى.

الطلاق

اقترب من الأربعين، فسعى لمن تعيد إليه شبابه المنصرم وانسانيته الخاصة المعطلة، فتزوج بفتاة تجاوزت سن المراهقة بقليل، ومضت الحياة بينهما بعد سنوات بلا ملامح، وانعكس ذلك فى زهدها لمتع الأنثى، وإقباله على متع الرجال بأى طريقه.

لم يكد يراها حتى تهرب منه، مثل غزالة تهرب من صائدها، أو مثل بطة تهرب من ذئب فاجأها بعيدا عن غديرها.

لو اقترب منها تتعلل بحجج واهية، وتعلمت أن تختبئ وراء عذرها الشهرى وتطيل أيامه، أو تحتمى بالحائط الملتصق بحافة سريرها، أو تنام على بطنها وتلتصق بالسرير، أو تتعلل بعملها الليلى المرهق، أو تمكث لدى أهلها أياما، أو تبكى بشدة بلا سبب، وعندما تسأل عن الأمر تقول: لا أحبه، تعجلت أمرى.

تتباين ردود أفعاله تجاهها، فنجده تارة رجلا طيبا، تؤلمه محنتها، فيذهب لينام بمفرده فى الصالة، وتارة تستبد به رغبته فيأخذها بالعنف، فتخبره بأنه يبرهن دوما أن قوة الرجل تفوق قوة المرأة، أو يأخذها بالحيلة كثعبان يختبئ لفريسته، تاركا بجوفها رغبته المشبوبة، وقد أخبرها أن تحذر من أن تغرها ثقتها بجمالها.

بعدما يهدأ يعيد فى ذهنه ما حدث، فيأسف ويقول: أنا نادم، ولم أكن أبدا أريدك بهذا الثمن الفادح. لكن..أجد ألمى أكبر من جرحك.

كلما تكرر اغتصابها كما كانت تقول، تردد لتصبر نفسها: اعرف انه يغتصب حقا له.

ينقضى الأمر وتشعر أن كيانها وملامحها تتحول للأسوأ، فصار جسدها شديد النحول، يهيمن على قسماتها الشحوب، غطت أسنانها طبقة داكنة من كثرة تناول الشاى والقهوة والسجائر، اكتشفت أن أطرافها تتحرك بلا وعى، لم تعد تتحكم فى دموعها، التى تنهمر بعفوية من اليأس.

فضلا عن أن قلبها أسود بضغائن ولسانها احتد على محيطيها، وجهلت الابتسام ولا ترى على شفتيها ضحكة صغيرة، وهربت منها عذوبة النوم، وتجدها دوما قلقة بفعل هواجسها حول أيامها المقبلة.

لم تجد حلا إلا أن تخبره بأنها زهدت الرجال وعليه أن يتزوج بغيرها، لتعتكف لتربية أطفالها، لأن عائلتها تحرم الطلاق.

البحر

وجدته يرتب أغراضه عقب مناقشات حامية بينهما، إذ تأكد له حقيقة مشاعرها المضطربة والباردة تجاهه. فأرادت أن تطيب خواطره وتسترضيه.

همست له: سامحنى..لن أتعلل لك بأعذار باطلة حول تجاهلى إياك، لكن..عليك أن تتخلص من هواجسك.

أنت وحدك من اخترته من دون الرجال ليكون زوجى، وأنت وحدك من أقدر خاطره واحترم

رأيه، وأنت وحدك من حظى بلمسى وتقبيلى وفض بكارتى، واستسلامى لك ورغبتى فيك كلما رغبتنى فى فراشى الدافئ، كأى امرأة طبيعية وزوجة مخلصة.

اعلم أنه وجب على أن أبدد شكوكك ومخاوفك، فيما حدث بيننا من مشاكل وقصص مختلقة، أشيعت حول ضعفى عاطفيا مع غيرك..لكن.

قاطعها: كفى..ولا تملئى قلبى بأشواك حديثك المسمم لدمى كرجل وزوج. لقد قضى الأمر ونفخت بداخلى بأنفاس موبوءة، قضت على السلام الذى يستكين له الإنسان ليسعد، والهدوء الذى يشاع فى البيوت لتنعم. ويكفينى الآن أن تبقى وفية لأولادك، وأن تستحقى أن تسمى أم أولادى.

ظل يفكر كمن يبحث عن ضالته، وقال: كل ما أنا نادم عليه هو أننى لم أفكر فى أهمية إيجاد قنوات طبيعية ونفسية، لتصريف الخلافات الزوجية والعاطفية بيننا، غير العلاقات الخاصة.

تركته يرحل وظلت حياتها تسير أمام ناظريها كصور متلاحقة، وتختلج بداخلها الكلمات كأنها تمنت أن تترجل فى الحياة، وتجدها كالبحر الهادئ والسمك تحت مياهه قريب ساذج سهل الصيد، فتصطاد أحلامها بلا عناء.

لكنها صدمت واكتشفت أن أحلامها مثل السمك فى المياه ليس ساذجا ولا يمكن صيده بسهولة، وكان يجب عليها أن تخبئ تحت طعمها شصا قويا، وتجيد الإمساك بالصنارة والشباك جيدا، لتنجح وتستمر فى الحياة بلا عثرات وصدمات مؤلمة.

الشتاء

شعرت بتعب مفاجئ، فتجسد عمرها أمامها، وتتذكر خُطابها الهاربين من تسلطها وغلظة لسانها، بينما كانت تتحصن من غلبة وعنف الرجال فى مجتمع تصفه دوما بأنه ذكورى ويدعو النساء للخشونة لتعيش وتحافظ على نفسها، وهى ترفض أن تكون مغلوبة على أمرها.

تطلق من أعماق قلبها تنهدات حارقة، لدرجة أنها ترى رجة صدرها، حسرة على الزمن الذى يجرى بها، من دون أن تنتبه، مثل طائر بأجنحته الخفية الخفيفة المتعجلة، يطوى السماء ذهابا وإيابا فى

لحظات، فلا شيء أكثر سرعة من انقضاء سنوات العمر، انه لحظات.

اليوم زارها الخريف، وغدا يأتى صقيع الشتاء، ولا شيء يحدث لها، ماكثة فى مكانها، من عملها إلى وحدتها بين أهلها، لا جديد.

كانت مع أمس الأول طفلة، ومع الأمس مراهقة، ومع اليوم تجاوزت الأربعين. وتشجع نفسها وتقول: إن القلب فى جسد الإنسان أكثر أهمية من كل الأعضاء، فكل قواتنا تكمن فى قلوبنا الواثقة بالله وحلمنا الأثير.

تحلم أن تتمدد على عشب الحديقة التى تطل شرفتها عليها، وبجوارها على الأرض من تحب واختارت. وتظل تنظر للسماء وتتمنى وتتقلب لتضغط وتلامس بجسدها على العشب وعلى حبيبها معا.

كأنها تريده أن يكتشف بكافة أعضائه وحواسه، عبقرية الطبيعة فى تقسيمات جسدها البكر المثير وروحها الهادئة.

أفاقت من حلمها اللذيذ بمزيد من زخات المطر الذى غسل روحها قبل جسدها بالماء النقى الطاهر، وقبل أن تنشف جسدها العذرى وتدخل فراشها نسمعها تردد: ليل الشتاء طويل بارد بلا عقل أو إحساس، أكرهه إن لم يكن هناك من يضمنى به.

ليل الشتاء قصير دافئ بعقل وإحساس، أحبه إن كان هناك من يضمنى به.

فجسد بارد، جسد بلا روح.

الأزهار

تعرف ميعاده فتعد له أزهاره بنفسها، فهى تريد أن تبهج روحه وتساعده فى دراسته للورد، وترسل رسائل خفية وماكرة، لتأوهات خلجات قلب أنثى تعشق، الورد بالورد.

ترقبه فتزداد رغبتها أن يكون لها، وتظل ترتب زينتها لتبدو أصغر عمرا وجمالا وتهمس لنفسها: دعنى أنعم بحبك سرا، وأسعد ما أتمناه أن أكون لك وأشاطرك الحب والفراش والحياة إلى الأبد.

عندما تقترب منه يغطى وجهه الاحمرار لبياض بشرته، وقد زاده رصانة كأنه يجهل معنى الإعجاب فضلا عن الحب، ليتجاوب معها بتحفظ شديد، بالرغم من أن الورد وأسراره شغله الوحيد.

بينما يلهب خجله رغبتها فيه وافتتانها به؛ نجدها أقل خجلا، لاحتكاكها بحكم عملها مع بشر على كل شكل وهيئة، فضلا عن سعيها الدءوب لاقتناصه.

عندما يفطن لنظراتها المتلاحقة يرجوها أن تتوقف عن ملاحقته ويقول: تريدين أن أبحث عن محل آخر وأنتقل لمكان جديد، لكيلا تتبعينى بنظراتك وتلفتى الأنظار لنا، ويحدثنى الناس وأصدقائى بأمرك ثانية.

شعرت بأنها جرحت، غير أن الجرح كأن أعمق مما تراءى له، فأجابته وهى عاجزة عن الكلام وقد تمدد جرح قلبها كثقل فوق جسدها وعقلها ولسانها: سأترك لك المكان وأحررك من حضورى.

ظل أياما لا يذهب لإحضار تجارب أزهاره أو إرسالها، وعندما اكتشف لافتة من شرفة حجرته معلقة على باب محلها، هرول لاكتشاف الأمر، فوجدها كتبت عليها "للبيع..لأحرركم من قيود الورد".

مكسوفة

ترقبه وتراقبه، فتجرى الدماء فى كيانها، وتشجع نفسها: لابد أن أبقى وأقاوم ولن أستسلم وأبكى أبدا، أو يظهر على ملامحى علامات الضعف والحرمان والحب الذليل؛ ستسر لبكائى وتذبحنى هذه التى تنافسنى على رجلى الأثير.

نراها تستجمع قواها وتقرر: لكن على أن أعجل وأدبر أمرى معه، وما دام لدى وقت ينبغى أن أظهر ما تستطيع أن تفعله فتاة، لإنقاذ مستقبلها من الانهيار، وقلبها من الذبح، وفراشها من الاغتصاب.

ماذا أفعل؟ لا يمكن مفاتحته بالحب، وقد جهل لغة عيونى وخضوع حديثى واستسلامى

لآرائه.

أنا أفهم أنه نوع من الرجال ينتظر مبادرة المرأة ليفهم ويتجاوب، لأمر قد يريده فى أعماقه، لكن..يخشى تبعات الحب والارتباط.

هذا ضد طبيعتى أيضا، ولا بد أن يفاتحنى الحب أولا، لأشعر أننى مرغوبة ومدللة طوال حياتى معه، ولأحصن نفسى كذلك من أعراف مجتمع، يظن بالمرأة الجريئة التى تدافع عن أمرها وحبها الظنون، ويصفها بصاحبة الوجه المكشوف.

نجدها تنهار لحظة ثم تفيق: يا رب..أعلم أن استجابة السماء لا حدود لها، ولديها قوة هائلة لإغاثة الإنسان المحروم من الحب وسواه، وأن الله يقول للشىء كن فيكون، فيا ربى قل لقلبه كن لقلبها؛ لأكون، لأعيش بجواره فحسب.

امرأة

انقسم وجهه فلم يعد يعرف أى القسمين ملامحه، ولا أى القسمين يواجه به أهله وأولاده ونفسه.

جن الزوج وظل يحدث نفسه كأنه يحدث كائنات مجهولة. هل تتعرفون علىّ؟ أم أن الحزن على خيانتها غيّر قسمات وجهى كثيرا.

واجهته قائلة: لا تدع الغضب والوهم ينتصران على فهمك وصبرك؛ لقد مال قلبى قليلا، لشخص ملأ فراغك وجمود قلبك وخيالك، تستطيع أن تسميها ضعف انسانى أو تجربة عابرة فى اطار من الفضفضة والبوح فحسب، وانتهت.

ضحك ساخرا وحثها أن تنظر نحوه وهمس: تعرفى علىّ! لكن..لن تتعرفى على وجه الزوج الطيب الشغوف بك، بل شبح.

حدثته بهدوء ثانية: الإنسان التائه لا يبحث عن الحقيقة بل عن لحنه وأنا أبحث عن لحنى المفقود، وأنت تبحث عن الحقيقة.

فصرخ: أنا لست حيا بل ميت. ولن يقدم دعاء أهلى أى عون فى عودتى لطبيعتى المرحة التى جذبتك إلىّ.

زوجى، تعلم جيدا أننى تقلبت فى متون النعم، وتركت كل شىء بارادتى، وليس عندى مهنة الآن أو هواية أو رغبة إلا البحث عن الحب والأشياء اللطيفة التى تسعدنى فحسب.

هى أشياء لم تقدرها يوما، ولا يقدرها ولا يفهمها المجتمع كثيرا، للمرأة المتزوجة خاصة من لديها أطفال، واقتربت من الأربعين.

ماذا أسمع؟ وأنا الذى كنت أقول: ما كانت لحظة لتبقى فى حياتى وتحسب ضمن عمرى، ولم أمضها معها؛ وبعد حديثك هذا، أعتبر ميل قلبك لغيرى خيانة، كأنه القدر أو الموت فصل بيننا.

رحلت وهى تتمتم: إذن أعتزل وأمنح نفسى الهدوء والسلام.

الحياة

أمسكت بى عجوز، وأنا أتلصص على حديقتها، بزهورها الملونة وعصافيرها المغردة.

واستنى قائلة: لا تتجسس على الحياة من شق فى جدار الأيام، كن قويا واصنع حياتك ووجودك بيدك، وحطم جدار الخوف بداخلك، وخذ ما يكفيك لترضى بحياتك أبدا، وترفع عما لا يلزمك، فتشغل بالهوامش وتترك الضروريات من العيش فتشقى.

خذ نصيبك من الحب، فمر الأيام يداوى بزاد لمسات قلوب تعشقك لذاتك، إنه النصيب الذى يجب أن تأخذه بالقوة والعزيمة والرضا.

أنصت للعجوز جيدا، وينصت بجوارى من أصابهم سهم الأقدار والأيام مثلى، ومنا من سمع النصيحة وأقبل على تجربة جديدة، يسعد بها قلبه المحروم، وأكثرنا ما زال يترقب ويخشى تذوق الأمل الجديد، واستنشاق نسمة عطرة.

التجربة الجديدة تحتاج قلبًا جديدًا، يفهم مستجدات العمر وشروط الأشياء والحياة المقبلة، وعين ضاحكة ترى النسيم العليل يتغلغل بصدورنا عقب انقضاء حرارة البدايات، وذكاء خاص

يجعلنى أحب وردتى، بفم دائم الثناء على كل لفتة تصدر منها.

آملا أن أحصد ما زرعت من أمل وصبر، وأنا أرتشف أنفاسها الذكية على روية.

غريبة

شبه الزوج عشق زوجته لوالدها، بعشق الموظفين لمديرهم السهل، وتمجيده بالبكاء والهدايا فى حفلة خروجه للمعاش، وهو فى نظره أسوأ المديرين، لأنه لم يضع نظاما للعمل وترك مرءوسيه، فى ذهابهم وإيابهم على راحتهم وأهوائهم، وظروف حياتهم الاجتماعية والشخصية، من دون اكتراث بحق عملهم.

شبه الزوج سخط زوجته عليه، بسخط الموظفين على مديرهم الجديد، الذى خالف سابقه فى كافة الطباع والآراء، وألزمهم بدقة المواعيد، وعلق لائحة بالحوافز والجزاءات، وسعى لإحداث تناغم بين العمل وظروف الناس.

احتار فى حب الناس للشخص الذى يرضيهم على حساب الأصول والنظام، وكرههم لنظيره إذا أراد فرض العمل الجاد، كما احتار فى سلوك زوجته المتمرد، وقد تربت فى بيئة لينة، تتيح لها أن تؤدى التزاماتها فى أى وقت أو لا تؤديها، بغض النظر عن حقوق من يعيشون معها. وكلما حاول التدخل لتصحيح الأمور، كشرت عن خشونتها، وزادت جرعة كرهها له، وعاندته أكثر بأن تظهر حبا مفرطا لوالدها، الذى يوافقها الرأى دوما، وبينهما انسجام كامل وفريد، دفع الزوج إلى أن يصفه بـــــ "الانسجام الذى تنقصه المعاشرة".

انفجر من غلظة زوجته، التى يعرف أن ليس فى قلبها نحوه إلا العناد، لوقوفه فى وجهها وتذكيرها بالتزاماتها العائلية دوما، ولكثرة حديثها عن مآثر والدها، بينما يراه الأب الجاهل بالتربية السليمة، ويدلل على ذلك، فى حديثهما المستمر حوله، باعتماد أولاده عليه فى تدبير أبسط شئون حياتهم، رغم نضجهم وزواجهم.

تدهورت الحياة بينهما، وصار هناء الزوج فى مقتل، فهو لا يجد الطريقة الملائمة لإقناع زوجته بأهمية التنظيم لنجاح أى بيت، وأن الأطفال الذين يشبون على المسئولية، ينجحون أكثر من غيرهم،

وقد اعتادوا سهل العيش وحرية التصرف.

تبرر موقفها: هناك قوة مجهولة تدفعنى لسماع نصائح أبى، الذى يخاطب عاطفتى دوما؛ وذات القوة تدفعنى لعناد زوجى، الذى يخاطب عقلى دوما. وأعى أن زوجى يرى الخير ويستحسنه لحياتى، لكن..ما نشأت عليه يجرفنى بشدة من دون وعى، بعيدا عن حضن زوجى وعقله.

بينما الزوج ما زال يردد: زوجتى ووالدها ينسجمان فى كافة أمور الحياة، ولا ينقصهما إلا انسجام الفراش..غريبة!

الإنجاب

أرهقتها الوحدة، وطول انتظار رفيق عمرها، فتزوجت على عجل رغما عن الجميع، فحجب أهلها أنفسهم عنها، وانشغل زوجها بتوفير متطلبات الحياة. وبينما تكتم شكواها بوحدتها ومعايشتها أوضاع واقع الزوجات والبيوت، حملت، وعانت آلام الحمل أضعافا مضاعفة، وأنجبت. وظنت أن طفلها سيكون ملاذا آمنا لجميع أوجاعها، لكن..أعباءها تضاعفت، واكتشفت أشياء غريبة تهاتف عقلها، وتدفعها لإهمال رضيعها وزوجها، وكثرة افتعالها المشاكل، والغضب لأقل سبب، وتركها فراش الزوجية.

اكتشف أهلها ما طرأ على نفسيتها وجسدها من تدهور واضح، لقلة تناولها الطعام وندرة نومها، وبدلا من أن يأخذوها إلى طبيب نفسى، أجبروها على الذهاب إلى"شيخ" بالرغم من رقى طبقتهم الاجتماعية. ومرت الأيام وانحدرت حالتها بسرعة، ولم يكن أمامهم إلا الطبيب النفسى، بعدما أقدمت على الانتحار نفسها وقتل طفلها.

أخبرهم الطبيب أن لديها ما يسمى "ذهان ما بعد الولادة" وأنه ينتشر بين النساء ويؤثر حسب مرحلته على الزوجية، وأن تصرفاتها كانت لإبعاد التعاسة عن طفلها، وتدهورت حالتها، فى ظل انشغال الزوج وقلة العاطفة بينهما وهجران أهلها واختزان أحزانها وتراكمها، وكذلك لعدم استيعاب كثيرات من النساء للمعجزة الربانية بإنجابهن كائنًا جديدًا من أجسادهن الضعيفة، وأن علاجها يحتاج إلى وقت، وسط مناخ يناسب رقتها، يوفره زوجها ومباركة أهلها حياتها الجديدة.

قرأت المطلقة القصة فى الجريدة، فى نفس واحد عدة مرات، لتشابه مع حياتها، وأن أهلها البسطاء، ظنوا أن ذهابها للطبيب النفسى، يعنى جنونها. وتظل محل تندر ومعايرة زوجها وأهله والناس طوال العمر، وتطورت حالتها، ولم يكن أمام زوجها إلا طلاقها، بعد أن أقدمت على تصرفات، تدمر بيتها، وتنتهك حياتها.

ندمت بشدة لمسايرة أهلها، ضد زوجها بالباطل، واضطرارها فى النهاية للعلاج النفسى، لكن..بعد ضياع كل شىء ومرور أجمل سنوات العمر. وعرفت أنه دوما يتبقى للإنسان أمنية وحلم فى أن يجد شريكه، الذى يتحمل معه وعنه كل الآلام والأوجاع، ويبتسم له ويضحك من أجله، ويعانقه للأبد.

العذرية

تعجل مستقبله معها، فتلهف على خطبتها والدخول بها، معتمدا على براءتها وصدّق نيته ومدخراته، ليقيم بيتا، يعالج جروح الوحدة والغربة واليتم، وسنوات دراسة الهندسة والتفوق فى مجالها.

وجدها من أول وهلة، ملاكًا على الأرض، تجلى له بالذات، فكل ما ينم عنها ويصدر منها، مثال للطهر والشرف، فطار لبه، بساعة وصلها والمكوث بجوارها، ولمس جسدها، وعناق روحها، والنظر إلى وجهها البرىء، والانقضاض على شفاهها البكر وغيرها.

لكن طار لبه أكثر، حينما لم ينل أى شىء منذ ليلتهما الأولى والليالى التالية، لهروبها المستمر من فراشهما.

ظلت تصرخ وتبكى على فراش الطبيب، الذى جزم بفقدان عذريتها، وإثباته طبيا محاولتها رتق غشاء البكارة، عبر وسائل طبية شائعة. وبينما الذهول يستبد بعقله، لسقوطه فى بئر طيبتها، زاد جنونه وفقدانه الثقة، عندما واجهها بحضور أهلها، واعترفت.

رفع قضية تزوير عقد الزواج، فقضت المحكمة ببطلان الدعوة، لتأكيدها أن عذرية الفتاة ليست من شروط صحة عقد الزواج، ووجب عليه أن يعطيها كل حقوقها.

مضت الفتاة فى طريقها، كامرأة مطلقة تبحث عن فرصتها الثانية، ومضى الشاب مشوشا، يستفسر عن مشكلته، إلى أن قرأ دراسة تعجّب من توصياتها، إذ تفرق بين عذرية الفتاة وكونها حالة تشريحية، وبين العفة والطهارة وكونها حالة أخلاقية، وعلى أطباء عمليات رتق غشاء البكارة "ستر" مرضاهم، وأن يفرقوا بين حالات النساء، حتى لا يساهموا فى خداع الزوج.

استشار الشيوخ، فزادت بلبلته لاختلافهم، فمنهم من يؤكد عدم مشروعية هذه العمليات، وغيرهم يرى أنها نوع من الستر الذى يساعد المرأة على علاج ذنب مضى، ويدفع عنها أضرارا كثيرة، قد تصل إلى القتل.

تذكر الشاب فتاته، فتنازعته الحيرة ما بين طيبتها وجرمها، الذى ربما يأتى يوما على العرب أن يتغافلوه، مثلما تغافلوا كثيرا من القيم أو أعادوا تسميتها بما يتناسب مع مصالحهم القريبة، متناسين مقصد الحياة الحقيقى، لدى الكثير من ذوى العفة من الرجال والنساء، وهو اقامة البيوت العامرة بالدين والحب.

الشيخ

طلبوا من الشيخ المثقل بالسنين أن يتحدث، وأن يقص عليهم ما وجد من الحياة وأيامها، وكيف تغلبت عليه؟ ومتى تغلب عليها؟

تمتم الشيخ للجميع: لا شىء أثقل من عبء العمر على الإنسان. لقد نسيت أشياء كثيرة، لكنى أتذكر غيرها أكثر! فإن الإنسان يولد ويكبر ويضاء بداخله وهج كبير، يدفعه ويشجع أحلامه للرقى والحب.

ويترجل فى التجربة بصدر مفتوح وقلب أبيض، لكن.. سرعان ما يتعثر لقلة خبرته، فتهتز شعلة الوهج بداخله؛ فيحبط ويتوقف ويسأم، وسرعان ما يستعيد نشاطه مع أمنية جديدة، يريدها من الحياة، قبل انقضاء عمره.

نمضى فى تجربة جديدة، وقد تلوثت براءتنا، ولو نجحنا؛ نظل على غير سرور؛ لأن الشخص الذى بداخلنا تبدل وتغير؛ إنه التغير لنحتاط من الألم الجديد، فتهتز الشعلة تحت مقصلة التفكير.

نتساءل: لماذا ندفع إلى تبديل نفوسنا وقلوبنا وهويتنا إلى الأسوأ لكى نـنجح؟ كيـف نظـل عـلى الفطرة الإنسانية وبساطتها ونتميز؟ أمنٍ الضرورى أن يقرن النجـاح بـالألم؟ هـل يمكـن أن تمنحنـا الحياة النجاح والحب على طبق من ذهب وبلا وجع؟!

ظل العجوز يتحدث، والكل ينصـت، إلى أن خـتم كلامـه: ونجـد أن الضـعيف قليـل الصـبر والعزيمة تنطفئ شعلته بسرعة مع أول تجربـة مريـرة، والقـوى صـاحب الإيـمان والعزيمـة، يبقيهـا مشتعلة أكبر وقت ممكن.

أما من أراد أن يبقى شعلته تنير الكون ونفسه على الدوام، فلـيس أمامـه إلا أن يتسـلح بالحـب الذى يعطى الحياة طعمًا وأملا.

عصا

قوة خيالها الجامح، تجعلها تجد الوسيلة التى تتيح لها، أن تقترب من الحياة التى تفضلها وتتمناها أية فتاة أو امرأة، وأن تحظى بسعادة الاستغراق فى تأملها الطبيعة الساحرة والسفر، وما يحدث حولها من تجارب للناس، فتتعلم منها وتحتاط لأمور قد تكون بسيطة، لكنهـا تفسـد حيـاة الإنسـان لفـرط سذاجته بمن حوله ولحداثة تجربته.

فلسفتها تعبر عنها بكلمات بسيطة، لا أحب أن يكـون وجهـى مألوفـا للجميـع، ولا أحـب أن يكون عقلى مقروءا للجميع، ولا أحب أن يكون لسانى صوتا للجميـع، ولا أحـب أن يكـون قلبـى ملجئا للجميع، ولا أحب أن يكون جسدى مشاعا للجميع.

إن كل هذه الأعضاء ميزها الله لى بشىء خاص جدا ورائع ومثـير، أهبهـا لرجـل لا يهـب قلبـه لجميع النساء، وينسى من وهبت له كل ما هو لديها من خاص ومثير.

هى جميلة جدا، لكن..نصيبها تأخر كثيرا، ولم يأت بعد، ودوما تقول: أريد من يثنى على، قبلا لم تعرف امرأة قط أن تمنح مثلها.

العجيب أن كل هذه النعم الربانية، كانت عائقـا أمامهـا، لـترى وتنـال لذائـذ الحـب والـزواج

والأسرة والأطفال، والغريب أن نعرف أنها ليست مطلوبة بإلحاح من الخطاب!

تخشى بشدة، بل ترتعب، أن تمر الأيام، وتتخذ شكل المرأة العجوز، المتكئة على عصا، والشعر الأبيض يكسو رأسها ويزين صدغيها، وهى وحيدة.

تأديب

فطنت إلى أن تجهمها وعبوسها وشد عصابتها السوداء حول رأسها كأنها قاتلة قتلة أو معلمة فى مذبح أو سوق، يغضبه ويصعد الدماء لرأسه، ويجعله يكلم نفسه، ويلعن الطير والحجر والشجر والكون.

اعتادت أن تشد عصابتها، كلما أغضبها أو كسر بخاطرها، وتحرص على أن تبدع فى تغييرها، حسب درجة غضبها، وتدبير عنادها وكيدها لزوجها.

أقصى شىء يغضبها أن يهرب من نومتها، التى يراها خشنة، فلا تبادله الغزل أو إظهار رونقها كأنثى، مقبلة على مشاعر لطيفة مع زوجها.

دائما يقول لها: أنت تقبلين على متعة خلابة، كأنك تسقى روحك وجمالك على كسل واهمال، أو واقفة فى المطبخ، أو وسط تراب التنظيف، أو تقيمين حسابات عميل حان وقت دفع ضرائبه لمصلحتك.

كثيرا ما تخيل أنها تدبر حيلا لطيفة لتقضى على رتابة الزواج، فترسل الأولاد لأهلها، وتفعل بجسدها كما تفعل العرائس البكر، ليكن فى أوج جمالهن، وتفاجئه بنفسها ورونقها، على أنغام "انت عمرى"، ليكتشف فيها مواضع مثيرة للحياة اللذيذة، فيتجدد روح الزواج والحياة بينهما.

كلما حلم، وشطح الخيال به، وأراد تنفيذ ما شاهده فى فلم أو سمعه من صديق حول الحب والوصل والهيام بالأنثى، يحدث بينهما ما يحدث فى كل البيوت وبين الأزواج من خلافات روتينية، فلا يتحقق ما يسعى إليه من متعة، ليزداد حنقه على حياته معها.

يظل يهرب من نومتها الرتيبة، فتكيد له وتحيط رأسها بعصابتها، المبتكرة حسب الموقف؛

فيشاهدها، فيكتئب من جديد، ويظل يلعن الزواج، ويتحسر على أيام حضن أمه، الذى لا يعوض، على حد قوله.

نسمات

كان بيتها مكفهرا، ضامرا من الأهل والخلان والأحباب، الإحباط يلفه ويلفها باتقان، كأنه عنكبوت أو حائط لصد نسمات الحياة الرقيقة.

فجأة، زارتها نسمة خلابة، جددت قلبها ومناخه وزهوره، وأعادت لها ذكريات لطيفة، فهدمت حوائط الإحباط بداخلها، وانساب بخور التفاؤل أمام عينيها.

تهادى إلى مسامعها: هكذا تكون البيوت السعيدة. إذا كنت لا تتقنين إيقاعك الإنسانى مع باقة من حولك وزوجك وبيتك، فربما تسمعين إيقاعا آخر، فى مكان آخر يناسبك، فأنصتى إليه أو أضيفى إيقاعا جديدا يبهج باقتك.

تهللت فرحة، وقالت: إنها رسالة ربانية. لقد ظننت أن قلبى مات، لكونه لا ينسجم ولا يتقن قراءة أو فهم أو سماع لغة هذا الرجل أو ما يطلقون عليه زوجى، ووصمت نفسى بأبشع الأوصاف لفشلى معه.

إنى اسمع وأنصت بل أحب إيقاعا آخر. لكننى لا أعرف مصدره، ولا كيف أجده؟

ظلت تفكر فى حكمة مجىء النسمة العليلة الآن، وقد تقدم بها العمر.

فطنت إلى أنها نسمة أتت لتسعدها، وتسعد صاحب البيت الذى عانى عدم انسجامها معه.

قالت: فلتدخل غيرى بإيقاعها الجديد لتنسجم معه، وأخرج أنا أبحث عن إيقاعى، مهما يكلفنى الأمر من تضحية، والأيام على حافة المخاطر تعاش أكثر.

الحياة تستحق أن نغامر ونغامر، لنجد من ننسجم معه، ويكتشف ايقاعنا.

الأنثى

إن مداعبة أذن الأنثى، بالهمس أو اللمس، يجذبها لصوت "حنية" الرجل، ويجعلها تلين لعشرتها معه، فالهمس الصادق الصادر من القلب، يصاحبه مشاعر دافئة تتوجه مباشرة إلى قلب الزوجة وحواسها، فتتغذى مشاعرها بالإيحاء ويتهادى خيالها للأوقات اللطيفة، وتشتعل الرغبة فى جسدها، ويدفعها دفعا للإثارة والمتعة المشتركة. وعى الشاب ذلك وفهمه من خلال ثقافته وتجارب المحيطين به، فطبق الأمر برمته على خطيبته، مكتفيا بالهمس، لحين يأتى وقت اللمس والعناق بزواجهما.

تابع الزوج زميله وهو يتحدث طويلا لخطيبته، أثناء "شفته" الليلى، فوجد الحوار يجرى بينهما سلسا، وفى أمور طريفة جدا، إذ يطلق لها النكات ويختبرها فى فوازير مسلية، ويذكرها بمشاهد مضحكة من الأفلام القديمة، ويحدثها عن أقرانه وزوجاتهم ومشاكلهم ومتاعب أطفالهم، والنوادر التى تحدث فى العمل والطريق العام، ويحكى لها بالتفصيل ما حدث منذ انتهاء آخر مكالمة أو زيارة..وهى كذلك، فصارت لا ترى إلا صوته وملامحه.

غاظ الزوج الأمر، فدفعه ذلك لسؤاله:هل تحسب أوقات حديثك مع خطيبتك عبر الهاتف؟ فأجابه بكل ثقة وبلا تردد بلغة عمله كمحاسب: لقد خطبتها منذ ١٠ شهور، وأحدثها ٤ ساعات يوميا، أى متوسط ١٢٠ ساعة شهريا، أى متوسط ١٢٠٠ ساعة خلال شهور الخطبة العشرة، هذا بخلاف الزيارات اليومية.

لم يتمالك نفسه من حديث صديقه، وقد أنقذه انتهاء "الشفت" فانصرف حائرا. وتذكر زواجه المتعثر وزوجته العابسة دوما، وعلل ذلك بأسباب كثيرة، لعل أبرزها ما يتصل بقلة تواصلهما، فلم يتحدثا منذ خطبتهما حتى الآن، وقد مضى ٨ سنوات على زواجهما، إلا وقتا قليلا جدا. ولو أراد أن يحسبها فسيجدها توازى شهرا، وفقا لنظرية صديقه.

فطن الزوج من أسلوب صديقه إلى أن المرأة تستكين عبر الحكى والمجاملات، وكذلك ضحكاتها على ما يقولان بسبب وبلا سبب، وثناؤهما على كل ما يتفوهان به سواء كان مفيدا أو

ضارا.

حاول أن يطبق الأمر مع زوجته، فلم يفلح؛ فطبعه قليل الكلام، نافد الصبر أمام ثرثرة النساء، يضحك لموقف أو نكتة تهز وجدانه، ويعاتب على السلبيات، ويعى أن هذه الأمور، وطبعه الذى يسير على خط مستقيم، ضد طبائع النساء.

أمس

كلما تجددت عواطفها الجياشة، تأملت بيتها واستقرت بغرفة نومها وانتحبت، وظلت تناجى زوجها الغائب فى سريرها البارد.

قالت: بأى قدر منهما أبدأ حزنى، وبأيهما أنهى ألمى، أيهما أشد وأصعب من الآخر. غياب زوجى أم وحدتى وحرمانى من غرفة نومى وسريرى الوردى.

تتداعى بمخيلتها الأوقات الهانئة التى جمعت بينهما منذ ليلة زفافها واللفتات الرقيقة التى جمعتهما معا.

كيف كان يفاجئها ويمطر ثغرها بالقبلات، وكيف كان يحضنها ويحتضنها بالساعات، وكيف كان يتفنن فى إمتاعها وضبط مزاجها الأنثوى، وعندما كانت تستكثر ذلك، كان يقول لها: إنه الحب.

تسمعها تردد فى أركان الغرفة، وقد حرصت ألا تجلس على سريرها الذى هيأته لاستقبال نفسها، كما ليلة زفافها: يا سريرى البارد، كيف لى وأنا ما زلت فى شبابى أحرم متعة فراش الزوجية الدافئ؟ وكيف لى هذا؟ وقد صرت الأب والأم، وأخشى أن أستقدم لهم رجلا لا يتآلف معهم ولا يتآلفون معه.

أو بالأحرى، أين الرجل المخلص الذى يتحمل عبء أرملة وأطفال غيره؟

ظلت تناجى قلبها إلى أن هدأت على صوت يحنو عليها ويخبرها أن كربها سبق أن بكته مرارا، ولا داعى لاسترجاع الأحزان، وعليها أن تدع اليوم يمر بسلام حتى تستطيع أن تستقبل الغد فى هدوء.

غربة

وجدها أمامه بلا أى ترتيب، فذعر وارتبك وانعقد لسانه، فأعلمته مرة واحدة فى شجاعة نادرة أن حبه لم يفتر بزواجها وانقطاع أخبارها فى الغربة.

أعلمها أنه لن يتواطأ معها فى حب محرم، وينبغى لها أن تبقى حيث اختارت واستفادت.

سرى فى جسدها صقيع واضطراب، وحاولت عبثا استعادة وعيها، وظل لسانها تتطاير منه كلمات غير مفهومة: هذا ما أستحقه، كيف كنت على هذه الدرجة من الجرأة، لأكشف له عن مشاعرى، بعد كل هذا الغياب المفاجئ والمياه الفاسدة التى جرت بيننا بعد تركه ورحيلى.

لماذا تعجلت إفشاء سر كان على أن أكتمه، وكان ينبغى أن أختبر مشاعره فى البداية قبل اخباره، كما يختبر المراكبى الرياح ببسط جزء من شراع مركبه قبل شقها للبحر المجهول، ليعلم من أى جهة تأتى الرياح الشديدة فيتجنبها.

لكنها ستظل تنفخ فى أشرعة حياته، لتجرفه للخطر، للتخلص من زوجها وزواجها كما يظن.

بينما هو ما زال يحاول لملمة كيانه من هول تسارع المفاجأة والأحداث.

أخبرته فى وجهه، أنها لم تكن متهورة أو غير واعية لتتحدث إليه مباشرة، بدلا من تأكل نفسها بنفسها وهى تستعيد ذكراه وحبه.

قالت: لقد أردت أن أفجر أمامك وفيك هزيانى، فترى دموعى، وتفطن للحب فى عيونى ووجهى وكيانى، وتتركنى أحيط عنقك بذراعى، كما كنت تسمح لى سلفا على خجل وبعد عذاب.

الطوفان

أحاط طوفان بقرية، وجاءها على صور مختلفة، وضربها بضربات لا مهرب لأهلها منها، فتارة يغرقها بالظالمين والحروب، ومرات بالجوع والمرض والشجار والجشع، ولم يبق من أهل القرية إلا زوج وزوجة.

لا يعرف رجل مثله فى حبه زوجته، ولا سمع عن امرأة مثلها فى حبها زوجها.

كلما ضرب الطوفان القرية، كان يحتضنها ويقبلها ويغنى لها، كى لا يفزعها هول صراخ أهل القرية؛ وحين تهدأ كانت تلامس يديه، وتقبل راحتيه، غير قادرة على حبس دموعها، ويختنق الكلام بداخلها، ولو أطاعها لسانها، لطلبت من الطوفان ألا يحرمها زوجها أبدا وهى حية.

كأنها تتمتم متوسلة إليه: لا يقدر الصبر أن يخلصنى من حزنى إذا مضى بعيدا عنى، بل سأعتبر أن الموت باب مغلق فى وجهى، لأننا فى الحياة والممات معا.

كلما هم الطوفان بضرب القرية، كانا يصرخان فى الناس الصامتين، الذين لا تفلت من أعماقهم إلا التأوهات الحارقة، كأنهم غير قادرين على فعل أى شىء إلا رد ضربات الطوفان بالبكاء والعويل والهروب.

يهتفان: لا تجدى فى هذه الظروف النصائح الطويلة أو المختصرة أو الحكم أو الأمثال. الآن، لا يجدى إلا الحب.

لقد أبقى الطوفان عليهما بالقرية فقط، لأنهما بريئان تماما. . بالحب.

مرت الأيام، وكما أحاط بالقرية الطوفان، أحاط بها أيضا، ترانيم وأصوات وأناشيد، يسمع بصوت الناس كلها تشدو: مثلما لا توجد وصفة أو علاج يشفى من الحب لمن يشقيه؛ لا طوفان ولا أهوال تتمكن من اقتلاع الحب لمن يرويه.

متفرج

عبثا أرادت أن تتكلم، فلم يعد لها فم أو لسان، ولا أية وسيلة تعبير، تقول بها ما تريد.

اضطرابها من ضجيج العصر وعشرات الأسئلة التي تتردد بداخلها حول ماهية الحياة والوجود والحب والسعادة، منعها أن تتابع حديثها إلى نفسها، فهى تظن أن حياتها وحياتنا تظل باقية حيث وضعتها الحياة والظروف والأقدار.

وتقرر: إننا متفرجون على ما يحدث لنا كل ثانية. وتقول: إننا "إنسان برتبة متفرج" يشاهد حياته تمر من دون أن يكون له رأى اعتراضا أو تأييدا.

تُحدث زملاءها برؤية: إن حياتنا كأنها فلم لا نعرف من كتبه أو أخرجه أو من يؤدى دور البطل أو الكمبرس، وتتقلب أدوارنا بحسب العقدة التى شاء صانعها أن تبقى بلا حل أحيانا.

مشاكلنا كما هى والحلول عصية على فعلنا وفهم الناس، وبالرغم من كل هذه التعقيدات فى حياتها وشخصيتها، لم يكن قلبها فظا، ولا يعجز الحب أن ينتصر عليها إذا جاء طارقا بابها فى أى لحظة، فهى رقيقة كنسمة.

كلما انتهزت فرصة للمرح والشقاوة، وقفت أمام المرآة تغنى وترقص، أو قرأت رواية عن النهايات السعيدة للحب المستحيل، أو خرجت إلى شرفتها تاركة شعرها ينسدل على كتفيها مجففة إياه فى الشمس الدافئة.

كتاب

يئس الشاب أن يجد كتابه بأرفف المكتبة، فسأل صاحبها: هل لديك كتاب لتعليم الحب؟ فضحك.

قطع ضحكه، فتاة قدمت له ورقة تحمل له الطلب نفسه، فاستأنف ضحكه واستغرابه، ودعاهما للتعارف وتناول الشاى، واخبر كلا منهما بطلب الآخر، فأخجلهما الأمر.

تحرك خيالهما بالحب نحو الآخر، وقبل أن ينصرف لعمله، نصحهما ألا يبحثا عن هذا الكتاب، وإنما سيجدونه فى قلوبهما، لأنهما طائران يغردان أمنية واحدة- لطيفة جدا - ومسعى للإنسانية منذ بدء الخليقة.

تمنى لنفسه أن يجد ما يبحثان عنه، فقد عاش عمره كله بين كتب الرومنسية، من دون أن يجده إلا فى الكتب والأفلام والمأثورات وشطحات خياله.

تلامست قلوبهما بالأمنيات والعناق والعشق الأبدى، ومضى الشاب والفتاة يتحدثان عن أسباب بحثهما عن هذا الكتاب.

رأى شغفها الشديد بتلك العاطفة النبيلة، وتيقنت هى من فطرته وطيبته، لإقباله على إرواء

شغفه العاطفى عبر القراءة عن الحب، ورفضه أن يجرب مشاعره مع أخريات، وهو الرجل الذى يسمح له المجتمع بالتجربة والخطأ مرات من دون حساب ومعايرة.

أرادت أن تلفت انتباهه بجرأة العاشقة وخبث الأنثى، فقالت له قبل رحيلها: إن المرأة حين تمتلئ بالرجل، تسلم له كل قلاعها بالحب. فأخبرها أنه وجد كتابه المفقود لديها.

انفصال

يا أماه هل لى أن أستفسر؟ لماذا تستأنفين كل يوم آهات شكوى طلاقك؟ ولا تكونين سريعة الغضب وتبررين ما كان، وأنت متعطشة للانتقام من أبى بالقول والفعل أمامى كل ثانية.

فوجئت الأم بحديث ابنتها وهى لا تعى من أمرها مع أبيها شيئا، فالصلات منقطعة بينهم منذ زمن.

حذرتها: يا ابنتى احترسى أن تبدى أمامى عاقة وتحمليني أخطاء غيرى.

قاطعتها مسترسلة، أتذكر أن أبى عكف على رعايتنا وتعليمنا، بينما كنت فى عملك تلهثين وراء مجد متداع، وتلهينا بألعاب وهدايا لتضمينا لصفك وتعوضى غيابك المستمر.

متغافلة عن دورك الربانى والفطرى كأم، ومتجاهلة تلميحات وتصريحات ومشاجرات أبى حول السعادة واقامة البيوت الهانئة، التى علمت فى كبرى، كم هى مفيدة لأخلاقنا وكياننا لمواجهة الحياة القاسية.

توقفت الفتاة كأنها تمهلها تحمل حاد كلامها، الذى دفع الأم أن تخبرها، والكلام يخرج منها فى بطء وحسرة: كم أنا بائسة!

لقد أيقظت بداخلى ما سكن من آلام مبرحة، وأشعلت بكبدى نارا لن تنطفئ بعد الآن، وأطلقت بداخلى أنات ندم مدمرة لحاضرى ومستقبلى.

استطردت قائله: وأنصحك للمرة الأخيرة، ألا تكونى أشبه بالعابرين الذى يمرون بغيرهم من البشر الضعفاء المساكين، فيلقون عليهم نظرة غضب واحتقار لاهمالهم فى حق أنفسهم وذويهم، من

دون أن يكترثوا لآراءهم أو يقلبوا الحقيقة على كافة وجوهها.

فيندمون بشدة لاحقا، عندما تتكشف أمامهم صور الحياة المختلفة. ويستبصرون الأيام.

العذراء

ينفجر الشوق والغرام بقلبها، وهى تبتسم للعروسة وسط كوشة زفافها أو لزميلاتها وهن يعرضن عليها صور زفافهن.

هى وسط زميلاتها كالفراشة تخدم بقلبها وتجامل وتنصت لكل شاك. إذ يستأنسون بطيبتها وجميل تربيتها وحسن خلقها.

انقطعت لخدمة أبويها، وهما يحرصان على مشاعرها، بتصرفات زائدة، فعندما يترامى إلى مسامعهما أصوات الأفراح الصاخبة للجيران، يحكمان غلق كل المنافذ والأبواب.

خشية أن تتأذى وهى ترى جاراتها وصديقاتها يتبخترن فى أثواب زفافهن، وغيرهن يتباهين بأزواجهن وأطفالهن، وقد سرقها العمر مع الوحدة، وجسد طاهر بكر، لم تلمسه حتى أفكار وعطش المرأة إلى الرجل.

تفطن إلى ما يقدمان عليه فتبتسم وتفتح كل الشبابيك والأبواب المغلقة، وتقول: إن بداخلى تواصلا مع الله لا ينقطع، أذهب لأقضى الواجب، ولأغالبن الظروف من دون أن أحنى هامتى.

تنفرد بحالها فى حجرتها، وتخرج من قفص عصافيرها "عصفورين وليفين" وتطلقهما عبر شرفتها الواسعة، وتطلق زفرات وعبرات: يا ربى أطلقنى للدين والحب، كما أطلقتهما للحرية والحياة الخلابة.

الذنب

ظلت تتوسل إلى حبيبها، أن تكون أفعالها قبل أن تهتدى، سرا بينهما وفى طى الكتمان، متعللة بذلك أن الإنسان لو ارتكب أفعالا مشينة وظلت فى الخفاء، سيحميه هذا من الندم والعار.

فكان يأخذها فى حضنه ويربت شعرها ويقول لها: لا تعاقبى نفسك أكثر من مرة، على ذنب

فعلتيه مرة، وتظلين فى ألم كل لحظة.

تبكى فيواسيها ويحثها ألا تقوم بقص ولصق تجاربها الحزينة من الماضى إلى الحاضر. وهكذا دواليك لينتهى العمر متوقفا لا يتحرك من عند أول تجربة وذنب.

ظلت السيدة منكبة تسمع كلامه الذى ينزل بردا وسلاما على قلبها، ويشبع نهمها لراحة البال والأمان لمستقبلها، فتحتضنه وتخبره بأنها قبل أن تلقاه كانت تتمنى الرحيل لتنهى آلامها بموت عاجل.

أما الآن فقد أعادت حساباتها بعدما اكتشفها من جديد، وتسعى لتستمتع ببصيص نور الحب الذى لاح فى الأفق فجأة معه، وهو الذى حرص على مخاطبة قلبها ومشاعرها، متناسيا مخاطبة جسدها ليثبت لها حبه لذاتها وروحها البريئة.

ولأنها سيدة عليمة بطبائع الرجال وفطرتهم، وتقرأ كتابهم النفسى جيدا، وتعى أن كلامهم الناعم ورمنسيتهم مع نسائهم، لا بد أن يتبعه عناق ساخن، أو احتياج إنسانى ما، لا يقدر على تحقيقه بالشكل الأنسب إلا المرأة، وأن كل تنفيس إحباطاتهم وهمومهم، سبيله الشائع والأهم معهن فحسب، بالوصل.

لبت له كل ما يريد، من دون أن يبوح، فزفت نفسها إلى فراشه القوى وجسده العطشان، وهى تتأوه من فرط لذة، كانت ثمرة قتل ودفن ماضيها وشراء حاضرها ومستقبلها الهانئ.

رحيل

نعى أن جرحًا ما بقلبها من شحوب وجهها وعينيها الدامعتين وذهنها الشارد وحالها المضطربة، ومن تنهداتها الصاعدة من صدرها من دون سبب واضح.

دوما تقول: لست مجبرة على الاعتراف بأننى هزمت، وتذهب لتحدثه بوجه تكسوه البراءة والتهور: أنت فقط تستطيع أن تنقذنى؛ فأنا أحبك. ولا يهمنى العالم بعدك، وكذلك تستطيع أن تهلكنى بصدك إياى، فاختر ماذا تريد لى؟ واعلم أن المرأة التى تتوسل إليك ليست عدوًا بل عاشقة

لك، تحترق لكى تتقرب منك، آملة أن تتحد معك برباط روحى وجسدى لا ينفصلان.

يجيبها: بربك، ترأفي بقلبى الذى أحبك ولا تشقيه بحديثك المر. لقد صارعت طويلا لأتخلص من سهام كيوبيدك، وتحملت آلاما مرعبة من كوابيس أنك لست بفراشى، والأصعب وأنا أتخيلك تتأوهين أسفله بفراشه!

اجلسى مع نفسك وتخيلى كل ما يطرأ على ذهنى من أفكار مدمرة ومحطبة لدى وأنت بقبضة شهوتة.

أجل إنه زوجك، لكنه..أخذك بالخداع، وأنت يسرت له الأمر طواعية، بالموافقة على الاقتران به على عجل، كأن ما كان بيننا، سراب وانتهى فى لحظة، وأنا لا أريد أن آخذك بهذه الطريقة أيضا.

لكن عليك أن تتذكرى أنه وهبك بيتًا به أجمل أطفال، وثراء من فرص يستحيل أن تحصلى عليها من دونه، وانظرى ما أنت عليه من نعمة، ومظاهر للحياة الراقية، لترضى بوضعك الجديد، الذى تتمردين عليه الآن، وتسعى لاستعادة حبنا القديم، لتبلغى بحياتك الكمال، لكنك..تدركين جيدا أن الحياة ليست بالسذاجة أن تهبك كل شىء بلا ثمن.

الآن لا بد لى من الرحيل، وعندما تشتاقين إلى اكتبى لى رسالة وألقيها فى النهر، وأنت متيقنة أن الكلام الصادق يصل إلى صاحبه مهما يغب.

وحيدة

يا بصير، أخبرنى بأمرى، فها أنت ترقبنى شاحبة هزيلة مهمومة مؤرقة الفؤاد، وأنا الفتاة التى كانت تهبها الأقدار للرجال الأوفياء.

لقد صرت أشبه عصفورا حُرم وليفه وعشه الدافئ، ولا أستطيع أن أهدئ من روعى أو أتحكم فى دمعة من دموعى المسكوبة عنوة وبلا إرادة منى، متأثرة بهواجس سوداء تعذبنى وأقدار تترصدنى وتجعل حياتى فى مهب الريح، وفراش الزوجية الساخن الممتع فى خبر الحرمان لا فى فعل المتعة.

ربى، كيف يكون هذا وأنت الرحيم الرزاق، وتعلم من هن على فطرتى، لا يستطعن العيش بلا

إنسان يعى احتياج وردة للعشق.

هكذا ترامى إلى مسامعى صوت فتاتى عندما استأذنت من خطبة قريبتنا لتصلى فى إحدى الغرف، وظلت تناجى ربها وصوتها المخنوق غافل بأمرى وعشقى لها، لكنى أخشى البوح لها، لكثرة المسئوليات الجسام بالارتباط.

وتقول: ربى دبر أمرى ولا تطل وحدتى وحرمانى، وأنا أكترث بمصيرى وأضع نصب عينى، همومى الفتاكة التى تتغذى وتستأسد على قلبى المكدود من قلة الحب وجسدى الجائع من تأخر تلبية رغباتى.

عصفورة

ما زلتُ أراها وديعة رقيقة، وردة مخلوقة من عطر النساء الخالص، لا توجد بها أى شائبة من سمات الرجولة، بخلاف الكثيرات اللائى خلقن أو تطبعن وفى أجسادهن أو أرواحهن أو طريقة تعاملهن، خشونة الذكورة. هى امرأة فحسب، "وهذا ما يجذبنى إليها".

تعكر زوجته أيامه، بما تحمله من سمات الرجولة، فتستدعى ذاكرته مفردات لسانها السليط، فيزداد به الملل ويثور فى نفسه السخط، ويتمرد على حياته الخالية من الاحترام. لا يهدأ إلا عندما يتهادى صوت من أحبها بداخله. إنها الفتاة التى عرفها قبل عقدين.

كان استبصر رفض أهلها، فجمد عاطفته نحوها، متعللا بأعذار واهية احتراما لصلات الرحم التى بينهما؛ فغاظها الأمر وتزوجت بغيره وتغربت، وتركت جسمها لزوجها، أما روحها فأسيرة لديه، وتركت ورودا وقصصا وحكايات منسية بداخله، لم يكتشف انها موجودة إلا بعدما عادت وأيقظت حبها الذى لم ينقطع منهما.

كانت البادئة بكشف مكنون قلبيهما ومحاولة تصريف حياتهما، وفى بعده تخط له رسائل الغرام المعطرة بالورد والوصل، الذى لا يخرج إلا من قلب أنثى عاشقة، رسائل وضعتها فى موضع الاتهام أمام زوجها، ولم تفرط فيها عشقا فى صاحبها، وقد أعادها لها، احتراما منه لاختياراتها وأسرتها.

لا يعرف جفنها النوم، إلا خلال سفره أو عمله، تظل مستيقظة مؤرقة الفؤاد، من دون أن يعى زوجها أمرها، تتمنى ألا يلمسها فى وعيه أو فى منامه، فضلا عن إقدامه على عناقها، وإن حدث تتبدل طبيعة الأنثى لديها، التى تحن للرجال والحلال، إلى سخط واشمئزاز لحبها لغيره.

تشعر انها عصفورة وحيدة، تخلفت عن سربها وتمردت عن اللائى يقدسن الزوجية حتى لو كانت على كره، وما رثا لها أحد، وما يجب أن يرثى لها إلا شخص واحد، من أحبته منذ مراهقتها.

متخيلا، يسير بجوارها محمولا بأجنحة العشق، ويلامس بأنفاسه شعرها المبعثر حول عنقها، المتوج على قمة جسدها الأنثوى الخالص، بعدما وافق أن ينتظرها لتمضى معه حياتها الباقية، لكن..الخوف يستولى عليه من مجهول أيامهما، وهى تردد لاهلها وزوجها: رسالتى تنتهى مع دخول أولادى الجامعة؛ وتخبره وتقول لنفسها: لا أريد الانفصال قبل أن أرتب حياتى المقبلة، كى لا أحمل لقب مطلقة أبدا.

مضت حياته فاترة، مشغولا بعمله وأطفاله، يتولى كافة شئونه بنفسه، وظل على هذه الحياة حتى خطه الشيب، وتتجلى أزمته فى تعجله الفرح، فسأم انتظار وتداعيات انفصال، تلك المرأة التى لم يصادفه الحب إلا معها، فضلا عن خوفه تعكير صلات الرحم، فيتهم بأنه شجعها على خراب بيتها، لينالها من أسفل زوجها، باسم الحب القديم.

فراشتى

ليس يكذب النظر، فحينما يمعن فى رؤيتها، من دون مكياج ينكشف عمرها أمامه، عبر التجاعيد وترهلات الجلد وحزن انقضاء شبابها الذى يسكنها، بينما ينعكس عمره فى انغلاقه، منتظرا عاشقة يرى العالم معها فحسب، ويكتب سعادته بريحان أشجارها.

يختفى عمرها فى وسامتها وأناقتها، ومن دون أن تعى مقصده، يؤكد للمارين أنها معشوقته، بأن يلتمس عناق يديها بأنامله الصادقة، كلما فطن للعيون التى تقارن عمريهما، كى لا ترى نظرات من حولها، فيتوتر نهر حبهما ويتبدد شغف بدايات العلاقة؛ وبالرغم من روعة مشاعرها تجاهه، تفلت يديها مرارا خوفا من ظروفها.

لا تفطن أو تفطن إلى صعوبة طبعها، ووقت غضبها لأتفه الأسباب غير المقصودة، تتغافل عن مكانتها، وتواتيها الجرأة وتكشر عن أنيابها، وتلقى فى وجهه ألا ينغلق على حبها وأن خبرة تعامله مع النساء تنقصه، وألا يلمسها أو يحدثها، حتى تنتهى من فسحتها الإنسانية، وتقيم علاقاتها للمرة المليون.

هو المتدين الحريص على العفاف، حزن أن ترى نقص خبرته بالنساء عوار وخيبة، فتوقف لسانه عن التعزل بها، وكاد يقول لها قولا ثقيلا، وحدثه خبث الإنسان أن يوحى لها بأمرها، أو موقفه أمام الناس وأهله الذين خطبوا له الصغيرات، لعلها تغض الطرف عن بساطة عيشه وانغلاقه للأبد. لكن.. لفه صمت حبه وطيبته، وتذكره حلاوة شغف عشقها، وكرمها الشديد الذى لا يوصف.

متغافلة أن فلسفة الحب تناسبها أكثر، تجنح خارج حبهما، مدفوعة بتجربتها ومحيطها، قادته مشاعره الرقيقة إلى البوح لها، أن صدق وفيض عواطفهما يكسبهما الانسجام الباطنى والظاهرى، فيختفى عمريهما أمام الناظرين؛ وكذلك عليهما اعادة أمورهما إلى الحب الذى جمعهما صدفة ومن دون غرض.

أقدم على التجربة بكل جوارحه، فزاد هياما بها، بل يحثها على عدم وضع مكياج لجمالها أو الإقدام على إجراء عملية تجميل كما تقول لوعيها بعمرها. ويظل مأخوذا بتجدد صورتها الرومنسية الخلابة فى ذهنه، الموحية بوجهها الملائكى الفيروزى اللطيف وخلقها النبيل وجسدها البكر المثير.

استرجع كل أشواك علاقتهما إلى الحب، الذى يجمل تفاصيل الحياة والألم، ويقفز فوق الأقدار والأعمار. ويمضى فى عشقها ويبث فى روحها مقولته لها "فراشتى المراهقة"، لكن..وأنت مراهقة فقط.

صامتة

يتموج شعرها مبعثرا على جسدها، أو تعقده على عنقها الخلاب وتتركه، كأنها لوحة باهرة رسمها فنان، تحتاج لرتوشها الأنثوية لتبقى فاتنة. تفعل ذلك وأكثر من أمور النساء، لما تكتشف فى نفسها فرح خفى لا تسطيع وصفه، وقت متعة فراشها.

سعت وأمامها طفلتها البريئة وزوجها العصرى وعملها الرائع وحياة أوروبية يتمناها ناس الحياة، لنوع من الحب، تحن فيه الروح إلى الروح، والجسد إلى الجسد، وتستكين تلك الجاذبية بين المرأة والرجل، على نهر الحب.

وكما كل الأقدار تأتى بغتة بحكمة القدير، مرض زوجها بعلة تمنعه من تهدئة رغبتها الفطرية أبدا، كأن الأقدار تصيبنا فى نقاط ضعفنا بالذات، لتختبر صلابتنا وإنسانينا.

انتابها نبل لا يوصف، وقررت أن تستمر فى حياتها، وتعى أن صور حياة الأنثى التى ترتوى فى حضن زوجها، انتهت تماما؛ وكان عليها أن تنفذ نصيحة الأطباء والزوج والأهل وتمضى فى حياة جديدة وتحتفظ بابنتها، من دون أن تقضى شبابها وعمرها مفقودة الشهوة،أو تضعف وسط مجتمع غربى يبيح كل شىء بأمر الرغبة.

بددت طاقتها وأخمدت كوامن حواسها اللذيذة فى تربية ابنتها كأم نادرة، وما تبقى من تلك الجذوة المتقدة فى جسدها دفنتها فى عملها المرهق، وسريرها الخشن المنعزل، كى لا تتوتر ويثار زوجها فتفقده، الذى عكف على تدليل ابنته، ليعوض رغبته وألمه.

أغلقت حياتها فى وجه الطامعين فى جمالها ومنصبها والمتوسلين لها بحجة حمايتها من الخطيئة أو إنقاذها من حياتها القاسية، بينما نجد جسدها مبللا بالاضطراب، ولا تعرف عذوبة النوم، لقلقها الدائم بفعل هواجسها الأنثوية الساهرة وعظامها الفارغة من المتع، فيطير لبها ويزداد غيظها تارة، وتارة تسعد وتهدأ لتيقنها أن أنوثتها ما زالت تدب بداخلها.

صارت تنظر بغم إلى متع الحياة، عندما تمرض ابنتها الوحيدة، وقضى على أمل إنجابها ثانية، بسبب انعدام ماء الرجل المعقم لرحمها، كما قال الأطباء. كانت تتمنى أن يشعر بها، وينهى مأساتها بنفسه، ويترفع عن لذة امتلاكها ويتركها تغرد فى عالم جديد.

تعالج جروحها المتقيحة من شدة الإهمال، بحب ابنتها وحفاظها على بيتها؛ وهى تتأوه، لكن صوتها لا يصل للكون، فهو ليس ذلك الصوت التى تقدر أن تجهر بألمه أنثى عربية محرومة، تتجمد الدماء فى عروقها وحافز الحياة فى روحها.

إن فى تلك المرأة شيئا لا يقاوم. غموض لا يمكن شرحه أو تفسيره، لكن تشعر بسطوته تستبد بك، ولا يعرفنه إلا القديسات اللائى تركن كل شىء من أجل نثر ورود الحياة وخدمة الرب.

مغتصبة

دخل بها ليلة عقد قرانها، مدبرا أن يقطفها لشهوته قبل أوانها، منتهكا وعوده لأسرتها بألا يقربها، شرط اصطحابها فى رحلة تمهيدا للزفاف، كأنه أراد أن يغتصبها شرعيا وينتهك طبقتها الراقية التى رفضته زوجا سلفا، من دون أن يكترث بخيال أنثى عربية تبتغى أن تنال مشتهاها على روية، أو بالأعراف التى تنتظر "شرف البنت" ليلة زفافها والناس والأهل شهود، لكنه تولى أمر تلك الساعة بأن دبر دما كذبا، ليهدئ من روعها.

هى رومانسية، أرادت الحياة فى ظل الحب المغلف بالحنان، والعشق المختلط بالخيال، وتمنت أن تجد رجلا يجعل عواطفها جياشة لا تهدأ ولا تخمد تجاهه وتجاه الحياة أبدا، ولا يشيح نظره عنها، مهما أصابها من وهن المرض أو الشيخوخة، إنها امرأة لا تستطيع إلا أن تعيش وتحب مخلصة؛ هو جسدى دأبه التماس التغيير طلبا للمتعة، والتلذذ بالتجربة وراء التجربة، ولا يسكن لأى امرأة إلا قليلا، شرط أن تحشد له عنفوان جسدها لشهوته.

إنه أستاذها الجامعى المثقف الوسيم، الذى تسلل لقلبها عبر الاهتمام بها وسط زميلاتها فوقعت فى شراكة، واضربت عن الطعام لتجبر أهلها على الاقتران به، وجربته سلفا لتطرد خطيبها الذى فرضه والدها عليها حماية لجمالها الفاتن،كأنها أرادت أن تتحداه وتعرب عن امتعاضها من كثرة انشغاله عن أسرته لمكانته السياسية.

رفضت منذ مراهقتها اغتصاب جسدها عبر تحرش عيون الرجال بجمالها، وكذلك الاغتصاب الشرعى فى سريرها، وإذا حاولت تهذيب سلوكه معها أو كبح نهمه للسُكر والشذوذ، أمعن فى التهام جسدها الرقيق من دون الاكتراث بالإنسانة التى تتمزق بداخلها، كأنه حشرة وكأنها قلب ثمرة ناضجة يأكلها ويتركها بلا جوف أو مذاق، ويلاحقها بالضرب إذا تمردت على فراشه المسموم أو رفضت أن تطيعه فى منعها عن أهلها وصديقاتها وكل الأشياء التى تبهجها.

هكذا صارت حياتها وهى التى لا تكترث إلا لزواج الحب الذى عرفته فى الأفلام المصرية، والروايات التى قرأتها خلسة من مكتبة والدها.

حملت أزمتها على كاهلها، كيلا تلام على اختيارها الكاذب، ومضت الحياة وأنجبت وكانت الأب والأم لقنديلين "بنت وولد" ينيران حياتها، بينما البروفيسير منصرف للقمار والنساء، ما بين طالبات جامعته، حتى مدرسات أطفاله لم يسلمن من تحرشاته، وسول له فحشه أن يحضرهن إلى بيت الزوجية التى اشترته بمالها، ويصطحب غيرهن فى أماكن شتى، ويتبجح ويبرر غيابه عن بيته بأنه كان يلازم إحدى ضحاياه جراء عملية إجهاض، وتقول: يعود وسط الليل ورائحة الخمر والنساء تفوح منه، ويفزعنى من نومى ليغتصبنى بأساليب شاذة، وأنا لا أملك إلا الظهور بمظهر السعيدة المحلقة فى فضاء الحب.

سارت فى طريق خلاصها عبر القضاء بمفردها، خوفا من تشويه مكانة والدها، واستغل البروفيسير الأمر وظل يلاحقها بالتهديد والوعيد وضم أولاده لحضانته، وبمجرد أن نطق القاضى بحكم طلاقها، دعاها للعشاء بحجة الارتباط بها، فأصابها الاكتئاب وأحكم قبضته عليها بمرض والدتها، ولم يكن أمامها إلا أن تلجأ للطبيب النفسى، لتعالج التشوهات التى أصابتها جراء عمليات الاغتصاب المتتالية التى تعرضت لها.

مضت والحياة تتنازعها ما بين ماض مر يحتاج لشريك ساحر يشفى ما به من قروح، وقلب كسير متعطش للحب، وجسد مغلق على أسراره ينتظر من يحل شفرته، وأطفال كالأيتام ينتظرهم المجهول، وأم مريضة، وأب يحاكم.

أعاد الطبيب النفسى ثقتها بنفسها، وتفرغ لها بشكل خاص لغرض فى نفسه، ونما وأورق الأمل بداخلها، وما لبثا أن شعرا بتوق متبادل إلى الانفراد بنفسيهما، ونما الهيام فى جسديهما، كلما تتابعت الجلسات، وصار يبث فى مسامعها اللطيف من الغزل، فصارت لا تطيق غيابه.

أيقظ الأنثى بداخلها كأنها لم يمسسها رجل سلفا، وبدت الحياة فى ناظريها وردية، فاهتمت بزينتها وانفتحت على طبيبها، فما لبث أن استغلها أثناء جلسات الاسترخاء، واستسلمت من دون

وعى لمهارة أصابعه فى التدليك الملتهب إلى أن استيقظ مارد الشهوة بداخلهما، فتبدلا القبلات الحارقة، وتسللت يداه نحو الخاص من جسدها الفائر، فأبت وطالبته بالتمهل لتسير علاقاتهما بشكل طبيعى.

مضى فى تهديدها ووعيدها وفضحها، لتكون بنت أبيها الذى يحاكم ظلما، ولم ينل منها أى شىء، لكنها احترقت من طبائع الرجال، وهى لم تر من تصرفاتهم إلا الاغتصاب بطرق شتى.

لأنها إنسانة لا تستقر إلا على حال الوفاء، كوفئت بهجرة إلى الغرب مع أولادها من دون سعى، كأن كل الأشياء السيئة التى حدثت لها، كانت لا بد أن تحدث، لتعوض فى مجتمع يفهم الضعف الأنثوى، ويمنحها فرصا للترقى والحب، ولتكون فى خدمة أمها التى تعالج لدى أخيها.

كلما مضت فى حياة جديدة، يحتشد الماضى أمامها، وإذا أرادت أن تلقى المخزيات من الأقدار خلف ظهرها، تعثرت ولم تستطع أن تنفى من مخيلتها، صور أن الرجال وحوش مفترسة، ليس لديهم إلا غريزة تحركهم نحو المرأة.

تغلبت على صعاب الغربة والتشدد الدينى والتحفظ مع الأجانب فى الولايات التى قطنتها، وظلت وما زالت تواجه قسوة الأيام، ليظن الناس إنها انسان خرافى لانتقالها من نجاح إلى نجاح، لكنها وردة رقيقة تسعى للحب، الذى تحن فيه النفس إلى النفس، والجسد إلى الجسد فى فراش وردى.

قبلات

لم تعد تكترث ولا تهتم، إذ يُقبلها زوجها وتشعر أن شفتيها تحولتا إلى قطعة جلد باردة بلا مشاعر أو شغف أو لذة.

صارت مجرد عضو يؤدى واجب لقاءات الزوجية الروتينية.

هكذا وجدت ما يختلج بقلبها الشغوف إلى الحب، وهى تتذكر أول قبلة ليلة خطبتها، وما تبعها من فقدان وعيها بجوار خطيبها دقائق من فرط اللذة والشغف والإحساس المحلق بقبلتها التى

تصفها دوما: "كأنها مخدر".

جلست تفكر وقد احتمت بسريرها الخشن البارد؛ لنسمعها تقول بلا اكتراث: الأيام المكررة تبدل الإحساس الساخن إلى بارد جدا.

ظلت كآبة كامنة فى أعماقها، لا يبدد غيومها إلا خيال وأمل والاشتياق إلى حب قادم من حيث لا تدرى.

إغماءة

تختبئ الصغيرة، وعندما يظهر زوجها لا تجعله يشعر بها، وتلقى بنفسها على السرير، وتتصنع الدوخة والتعب والدلع مثل الإغماءة التى نصحتها بها جارتها، مروضة الرجال.

وأوصتها: وقت ما تجدينه أمامك أفيقى قليلا واحضنيه وقبليه واتركيه يلتهمك وأنت تتمنعين، واجعليه شهريار حتى تنقضى الليلة وينسى أفعالك السوداء وغضبه نحوك.

هكذا يروض بعض الرجال، وإن لم تنفع الحيلة، فسيخضع بغيرها، وحيل الأنثى لا تنتهى.

استغرق الزوجة الضحك وهى تقرأ هذه القصة، التى نشرت فى صحيفة قديمة من ستينيات القرن العشرين، وتعى جيدا أن مثل هذه القصص، والمعنى المنشود من ورائها، لم يعد يناسب عصرنا المعقد المتشابك.

إن الحياة فى البيوت صارت أعقد من مال متوافر، وخضوع لزوج، وتلبية حاجات أولاد، وقضاء لحظات متوترة أو لذيذة فى فراش الزوجية.

أشبهها

غلبه ارهاق يومه فنام مكانه، فأيقظه عبير أنفاس امرأة آية فى الجمال، كأنها نجوم تزين السماء والكون، كأنها أقمار بيضاء تنير البيوت والقلوب الحالكة من الوحدة.

كأنها عروش ياسمين فواح يحيطينى فيثلج صدرى المقبوض من فوات العمر بلا حب. كأنها أسراب حمام يلف فوق رأسى ليبهجنى بالحنان.

استيقظ من نومه متمنيا الحلم حقيقة، وفطن لذلك الانسجام الروحى والشكلى، الذى قلما يتحقق بين اثنين، وأيقنت أن مشاعرى بلا وجودها يجب وأدها، وظلت مع الأيام أتعلق بطيفها أكثر، لما تأكدت أن ملامحى بدلت بملامحها. هكذا الحب يكسبك ملامح من تحب وأسلوبه ومنطقه، من دون أن تدرى.

اغتبط قلبه لتركها جزءا خلابا منها لديه، وظل يصرخ: سوف أنتظرك، وأنا أتنفسك بعمق.

ظل يخاطب الناس والخيال: ستعود، وتسرين وتعشقنى عندما تجدنى أشبهها تماما، فى الشكل وفى الروح.

شعرها

يجد نفسه فى استرخاء جسدها وروحها عقب حمامها الساخن، مقبلا على أن يلملم شعرها حتى لا تبلل رقبتها فتبرد، أو تتندى وسادة نوم سريرهما فيتأذى رأسها ولا تغفل عيناها فى ليلتها، وتستيقظ وتقول: لم أنم لحظة، وتظل طوال اليوم مرهقة، ولا تستطع تحريك رقبتها أياما عديدة.

اعتاد أن يجلس وتجلس، فيأخذ ظهرها الشهد فى حضنه القوى، ويمشط شعرها ليضفره تارة، ويناغشها فى مناطق يعرفها جيدا، كأن خريطة جسدها يراها أمامه، تجعلها تضحك ببراءة تارة، ويقبل حواف أذنيها ويهمس بكلمات غزل تفقدها بوصلة أنوثتها الخجول تارة، وأحيانا يشد ضفيرتها بخشونة وحذر، كأنه يعاتبها لكسلها فى حقوق بيتها والاقبال على عشقه.

إنه رجل له أسلوب خاص مع زوجته، وهى طريقة تعلمها من أمه لتربى بناتها، ووجدها بعد إضافة لمساته، لبث هواه وشكواه لزوجته معشوقته.

الكاتب

- محرر اخبارى بالتلفزيون المصرى

- رئيس تحرير سلسلة أدباء مسبيرو

-كاتب مسرحى وعضو اتحاد الكتاب

- ١٥ مؤلفا مسرحيا وسياسيا، بتقديم: سعد الدين وهبة ومحفوظ عبد الرحمن ود. عبد المعطى شعراوى وسامى خشبة وفهمى هويدى ود. محمد عباس ود. رفعت سيد أحمد.

- ١٥٠ مقالا ثقافيا وسياسيا بالصحف المصرية والعربية.

- "حصان طروادة"مسرحة الإلياذة بالكامل٢٠٠٨م.

- مسلسل "شخصيات من نور" أهم الشخصيات التى أثرت فى القرن العشرين ٢٠٠١-تحت الإنتاج- حاصل علـــى جائـزة تيـمور المسرحية مرتيـــن عامـــى ١٩٩٧/ ٢٠٠٣ – عـن نصين الأول:" الحياة على إيـقاعات الموت"، صادر عن الهيئة العامة للكتـاب ١٩٩٨م، تقـديم: د. حسين عبد القادر

الثاني: " أخبار الربيع " صادر عن الهيئة العامة للكتـاب ٢٠٠٥م، تقـديم: سـعد الـدين وهبـة ومحفوظ عبد الرحمن.

- حاصل علـــى جائـزة اتحاد الكتاب عن مسرحية أخبار الربيع ٢٠٠٥ م.

- السهرة الإذاعية ماكياج وأشياء أخرى.

محتويات

تقديم	٣		الشيخ	٥٩
افتراضى	٥		عصا	٦١
رائحتها	٧		تأديب	٦٣
مستباحة	٩		نسمات	٦٥
فراق	١١		الأنثى	٦٧
منام	١٣		أمس	٦٩
جدتى	١٥		غربة	٧١
واى نُت	١٧		الطوفان	٧٣
عروس	١٩		متفرج	٧٥
انسجام	٢١		كتاب	٧٧
سحر	٢٣		انفصال	٧٩
هفوات	٢٥		العذراء	٨١
ناران	٢٧		الذنب	٨٣
باردة	٢٩		رحيل	٨٥
البدايات	٣١		وحيدة	٨٧
الطاووس	٣٣		عصفورة	٨٩
التنازلات	٣٥		فراشتى	٩١
أبى	٣٧		صامتة	٩٣
الطلاق	٣٩		مغتصبة	٩٥
البحر	٤١		قبلات	٩٩
الشتاء	٤٣		إغماءة	١٠٠

الأزهار	٤٥		يوميات	١٠١
مكسوفة	٤٧		البعيد	١٠٢
امرأة	٤٩		أشبهها	١٠٣
الحياة	٥١		شعرها	١٠٤
غريبة	٥٣		الكاتب	١٠٥
الإنجاب	٥٥		محتويات	١٠٦
العذرية	٥٧			